

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

مذكرة بعنوان:

صور التواصل بين الغرب الإسلامي والمشرق
على ضوء رحلة ابن جبير الأندلسي (540هـ -
1145م/614هـ -1217م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ:

د. سفيان قعيد

إعداد الطالبتين :

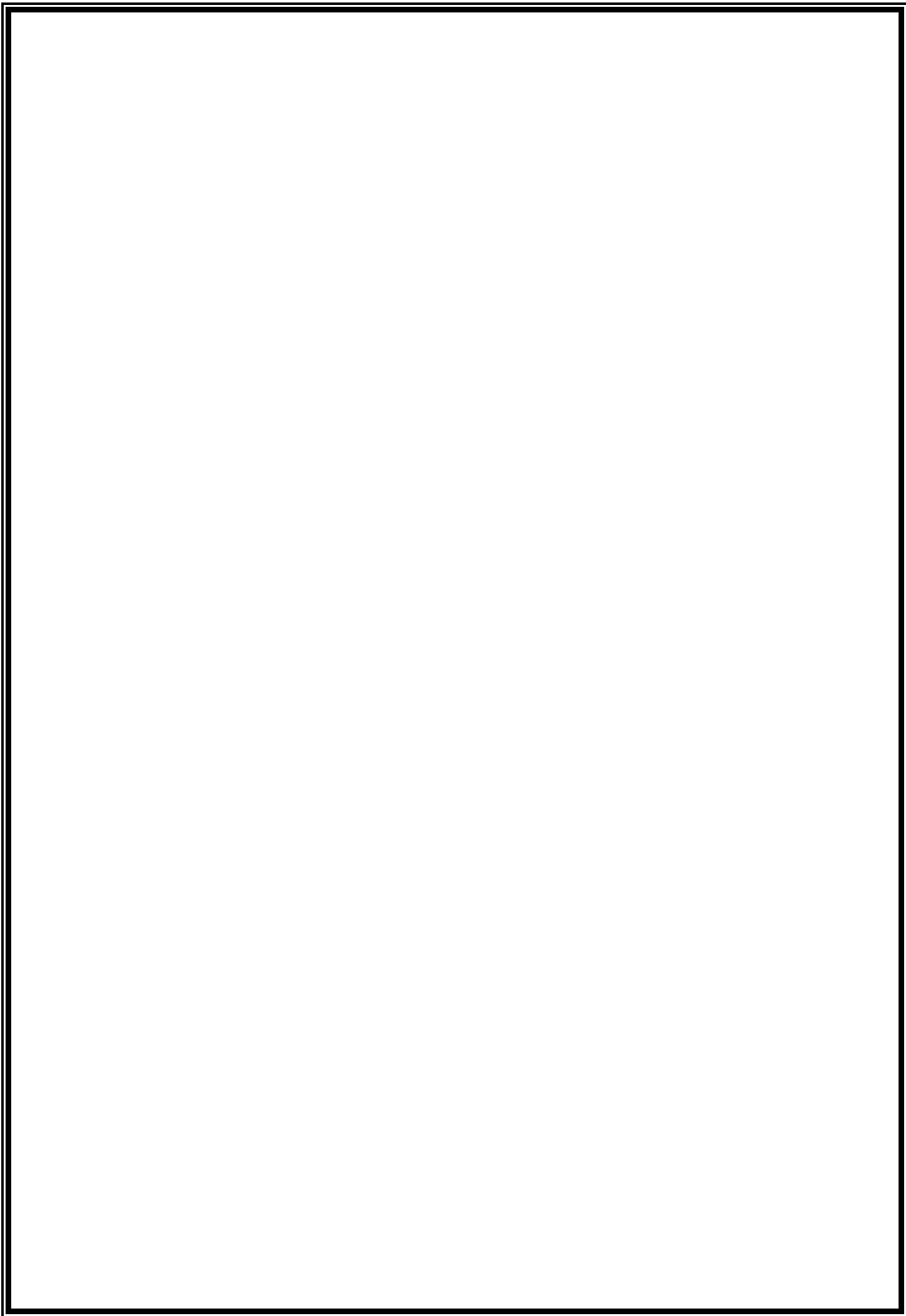
- سايح نجوى

- مصباحي يسرى

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أسماء بن عمارة	أستاذ محاضر(ب)	جامعة الوادي	رئيسا
سفيان قعيد	أستاذ محاضر(ب)	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
زكري زكايرة	أستاذ مساعد-أ-	جامعة الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1445 - 1446هـ / 2024 - 2025م.



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

مذكرة بعنوان:

صور التواصل بين الغرب الإسلامي والمشرق
على ضوء رحلة ابن جبير الأندلسي (540هـ -
1145م/614هـ - 1217م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ:

د. سفيان قعيد

إعداد الطالبتين:

- سايح نجوى

- مصباحي يسرى

السنة الجامعية: 1445 - 1446هـ / 2024 - 2025م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى نفسي

أهدي هذا العمل إلى نفسي، تقديرًا لما بذلت فيه من جهد خلال مراحل إعدادة.

إلى عائلتي وبالخصوص أختي العزيزة زهرة

في رحلة إنجازي هذا العمل الأكاديمي، كان لدعمكم ومساندتكم أثر بالغ الأهمية. لقد كانت دافعًا لي لتجاوز التحديات وبذل قصارى جهدي.

إلى صديقتي الغالية رجاء بيات

إلى من رافقتني بكلماتها ودعواتها رغم البعد والمسافات، إلى الصديقة التي لم ينقطع تواصلها، ولم يفتر دعمها، كان لحضورك - ولو من بعيد - الأثر الأكبر في استمرارتي.

شكرًا لك

فجوى سابع

إهداء

إلى النور الذي أنار دربي والسراج الذي لا ينطفئ نوره بقلبي ابدا من بذل الغالي والنفيس وإستمدت منه قوتي واعتزازي بذاتي

والدي العزيز

إلى من جعل الجنة تحت أقدامها إلى الإنسانية العظيمة التي لطالما تمنيت أن تقرر عينها في يوم كهذا أمي العزيزة رحمها الله

إلى ضلعي الثابت وامان ايامي الى من شددت عضدي بهم إلى خيرت ايامي وصفوتها إلى قرة عيني إلى اخواني واخواتي الغاليين

لكل من كان عوناً وسنداً لي في هذا الطريق وافاضني بمشاعره ونصائحه المخلصة إليكم عائلتي

أهديكم هذا الإنجاز وثمره نجاحي الذي لطالما تمنيته ها أنا اليوم أكملت واتممت اول ثمراته بفضلته سبحانه وتعالى

فالحمد لله على ما وهبني فالحمد لله شكراً وحبا وأمتنانا على البدء والختام

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

بدرى مصباحي

شكر و عرفان

قال تعالى : { ... لئن شكرتم لأزيدنكم } (سورة إبراهيم الآية 07)

نشكر الله الحي القيوم على منّهِ علينا وتوفيقنا لإنجاز هذا العمل، نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى
المشرف الدكتور سفيان قعيد ،على ما بذله معنا في إعداد هذه المذكرة. كما نشكر الدكتور بن خيرة
أحمد والدكتورة كينة ميلودة على نصائحهما وتوجيهاتهما القيمة ، ولكل دكاترة قسم التاريخ
ونتقدم بشكر لكل من ساهم، ولو بشكل بسيط لإنجاز هذا العمل.

مع خالص التكر والتقدير

قائمة المختصرات :

الرمز	شرحه
(م)	ميلادي
(هـ)	هجري
(تح)	تحقيق
(ج)	جزء
(تر)	ترجمة
(ط خ)	طبعة خاصة
(ط ج م م)	طبعة جديدة مزودة معدلة
(د ط)	دون طبعة
(د د ن)	دون دار نشر
(د س)	دون سنة
(د ب)	دون بلد
(ع)	عدد
(ص)	صفحة
(مج)	مجلد

مقدمة

مقدمة

مثل التواصل بين المشرق والغرب الإسلامي أحد أبرز ملامح التفاعل الحضاري في التاريخ الإسلامي منذ لحظة انطلاق الفتوحات الإسلامية نحو بلاد المغرب، ولم تكن هذه الفتوحات مجرد حملات عسكرية توسعية، بل كانت حملة برسالة حضارية شاملة، حملها الفاتحون إلى الغرب الإسلامي، حيث شيّدوا المدن الكبرى كالقيروان، وأسسوا المؤسسات الدينية والعلمية، ونقلوا معهم لغة الضاد وعلوم الشريعة، التي ارتبطت بالحضارة الإسلامية الناشئة آنذاك.

وبقيام الدول في بلاد المغرب ظهر التواصل المتبادل بين الجانبين بشكل واضح وجلي؛ فقد استمرت الرحلات المتبادلة؛ فزيادة على التأثير المشرقي على الغرب الإسلامي ظهر التأثير العكسي كذلك أي التأثير المغاربي على المشرق الإسلامي ومن بين الشهادات التاريخية المهمة التي وثّقت هذا التواصل، رحلة ابن جبير الأندلسي، التي دَوّن فيها مشاهداته وانطباعاته خلال زيارته للمشرق، مقدّمًا بذلك مادة غنيّة تكشف عن تعدّد أوجه العلاقات بين الجناحين الغربي والشرقي للعالم الإسلامي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. ومن هنا، جاءت هذه المذكرة لتسليط الضوء على أدوار وإسهامات المغاربة في المشرق من خلال ما ورد في رحلة ابن جبير، في كل من هذه الجوانب السياسية والعسكرية، والاقتصادية والاجتماعية، والدينية والعلمية والعمرانية. وفي هذا السياق جاء موضوع البحث صور التواصل بين الغرب الإسلامي والمشرق من خلال رحلة ابن جبير، ومن هنا يمكننا طرح الاشكالية التالية: فيما تجلّت صور التواصل بين بلدان الغرب الإسلامي والمشرق من خلال رحلة ابن جبير؟. وتندرج تحت هذه الاشكالية عدة تساؤلات منها:

- ما طبيعة العلاقة السياسية والعسكرية بين الموحدين والأيوبيين، وما دور المغاربة في دعم جيش صلاح الدين الأيوبي؟
- كيف ساهم المغاربة في النشاط الزراعي والصناعي بالمشرق؟ وما دور المدن الكبرى بالمشرق في تسهيل التبادل التجاري بين المشرق والمغرب؟
- ما مظاهر التقدير والاندماج الاجتماعي للمغاربة في المشرق، ودور المؤسسات مثل الأربطة والخوانق في استقرارهم؟
- كيف عززت الرحلة الحجازية والارتباط بالأماكن المقدسة التواصل الديني بين المغاربة والمشاركة؟ وما أثر وحدة المذهب المالكي في ذلك؟
- إلى أي مدى تأثر المغاربة بالحواضر العلمية في المشرق؟ وكيف ساهموا بدورهم في المشهد العلمي والفني والمعماري؟

أما بالنسبة للإطار الزمني للموضوع فهو:

- فترة التي عاش فيها الرحالة الأندلسي ابن جبير، وهي القرن السادس الهجري (539 هـ - 614 هـ) / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي (1145 م - 1217 م).
- فترة رحلة ابن جبير تعتبر رحلة ابن جبير الأولى إلى المشرق (578 هـ - 581 هـ / 1183 م - 1185 م) الفترة الزمنية المحورية للدراسة. خلال هذه الرحلة، قام ابن جبير بزيارة العديد من الحواضر الهامة في المشرق الإسلامي، وسجل ملاحظاته التفصيلية التي تمثل المادة الأساسية للبحث.

أما الإطار المكاني فهو بلاد المغرب، الأندلس، مصر، الحجاز، العراق وبلاد الشام

أسباب اختيار الموضوع

الذاتية:

كان بتوجيه من الأستاذ المشرف وما جذبنا إلى هذا الموضوع هو شموله لعدة مجالات، بدءًا بالسياسة والاقتصاد، مرورًا بالدين والعلم، ووصولًا إلى العمران والمجتمع، وهذا ما يمنح فرصة للتوسع في البحث، وتحليل الظواهر من زوايا مختلفة، ما يثري التجربة البحثية ويزيد من قيمتها العلمية.

الموضوعية

- الأهمية التاريخية للعلاقات بين الغرب الإسلامي والمشرق، يكتسب موضوع التواصل بين الغرب الإسلامي والمشرق أهمية بالغة لفهم التطورات التاريخية والحضارية في غرب العالم الإسلامي، إذ مثلت المنطقتان كيانين متجاورين تربطهما روابط جغرافية وثقافية واقتصادية وسياسية معقدة.
- تعد رحلة ابن جبير الأندلسي وثيقة تاريخية ذات قيمة استثنائية، تقدم شهادة معاصرة ومفصلة لأوضاع العالم الإسلامي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. تتضمن الرحلة ملاحظات مباشرة حول مناطق في بلاد المغرب وتفاعلات محتملة مع سكانها، مما يجعلها مصدرًا فريدًا لاستكشاف طبيعة التواصل بين المنطقتين من منظور أندلسي.
- إمكانية استخلاص رؤى جديدة على الرغم من الدراسات التي تناولت رحلة ابن جبير، فإن التركيز بشكل خاص على استخلاص وتحليل صور التواصل المباشر وغير المباشر بين المشرق والغرب الإسلامي من خلال هذا النص قد يساهم في تقديم رؤى أكثر دقة وتفصيلاً حول هذه العلاقات.
- إمكانية التكامل مع الدراسات القائمة يتيح هذا البحث إمكانية التكامل مع الدراسات التاريخية والأدبية والجغرافية التي تناولت تاريخ الأندلس والمغرب في تلك الفترة، ورحلات الحج، مما قد يثري الفهم العام للعلاقات بينهما.

المنهج المتبع

اتبعنا في دراساتنا على المنهج التاريخي. يتمثل ذلك في الاعتماد الجوهري على "رحلة ابن جبير" كمصدر تاريخي أولي لفهم طبيعة العلاقات بين المشرق وبلاد المغرب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. وتحليل هذه الوقائع واستخلاص الدلالات المتعلقة بأنواع التواصل ومظاهره، والمنهج الوصفي سعينا من خلاله إلى وصف مختلف الوقائع والمشاهدات التي تشير إلى وجود أشكال من التواصل بين المنطقتين. تحليل هذه الوقائع واستخلاص الدلالات المتعلقة بأنواع التواصل ومظاهره إضافة إلى المنهج المقارن حيث قارنا بعض المواضيع العمرانية في المشرق بمواضع في الغرب الإسلامي.

خطة البحث

للإجابة على التساؤلات السابقة اعتمدنا على خطة مكونة من مقدمة يليها مدخل، حيث يركز المبحث الأول على التعريف بابن جبير وحياته وعصره، بالإضافة إلى دراسة لرحلته كمصدر أساسي للبحث. أما المبحث الثاني من المدخل، فيسعى إلى استكشاف الأسباب والدوافع التي أدت إلى وفود المغاربة إلى المشرق خلال الفترة موضوع الدراسة، مما يضع الأساس لفهم طبيعة التواصل. وتنطلق الدراسة بعد ذلك في ثلاثة فصول. يتناول الفصل الأول صور التواصل السياسي والعسكري بين بلاد المغرب والمشرق، حيث أن المبحث الأول كان على العلاقات السياسية القائمة، بينما المبحث الثاني على أشكال التواصل العسكري. ويتناول الفصل الثاني صور التواصل الاقتصادي والاجتماعي، حيث يستعرض المبحث الأول الأنشطة الاقتصادية كالزراعة والصناعة والتجارة، بينما يدرس المبحث الثاني الجوانب الاجتماعية للتواصل. وأخيراً، يتناول الفصل الثالث صور التواصل الحضاري، حيث يعرج المبحث الأول على صور التواصل الديني، ويدرس المبحث الثاني أشكال التواصل العلمي وتبادل المعارف، بينما يستعرض المبحث الثالث صور التواصل العمراني وتأثيراته المتبادلة. وتختتم المذكرة بخاتمة تلخص النتائج الرئيسية، بالإضافة إلى ملاحق وقائمة المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في إعداد البحث.

هدف الموضوع:

لتسليط الضوء على دور المغاربة في المشرق الإسلامي، ومكانتهم في الحواضر المشرقية، ومساهماتهم في مختلف الميادين

التأكيد على وحدة الهوية الإسلامية حيث أن الرحلة تعكس شعور الانتماء الكبير للأمة، رغم تنوع الأقاليم واللهجات.

نقل تجربة شخصية تعزز القيم الدينية، ابن جبير لم يكن سائحاً فقط، بل عالماً وفقهياً قاصداً الحج، في رحلته نقل لنا وصفاً نابضاً بالحياة، جمع فيه بين المشاهد الروحية العظيمة والمواقف الإنسانية.

الدراسات السابقة:

والتي من بينها موضوع

- الحجة نواف عبد العزيز ، رحلة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن هجري، أفادنا في عنصر المشاهد والاماكن المقدسة التي ذكرها ابن جبير
- رسالة دكتوراه بعنوان العلاقات التجارية للدولة الموحدية، لبغداد غربي التي تناول فيها أهم المراكز التجارية في المشرق التي كانت أحد جسور التواصل بين المشرق و بلاد المغرب
- اطروحة دكتوراه بعنوان المظاهر الحضارية في أدب الرحلات الاندلسية -ابن جبير نموذجاً-، لنوليخة مجاهدي

أهم المصادر:

بما أن موضوعنا تناول صور التواصل بين بلاد المغرب والمشرق من خلال رحلة ابن جبير فقد اعتمدنا بالأساس على رحلة ابن جبير، بالإضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع المدعمة التي تناولت موضوعنا بشكل عام.

الإحاطة بأخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب ونفح الطيب للمقري الذي أفادنا في التعريف بالرحلة ابن جبير و معرفة أصله و ابرز الصفات التي كان يتحلى

البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي، الذي أفادنا في الجانب السياسي

الروستين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبي شامة، أفادنا في الجانب السياسي في ما يخص سفارة بين صلاح الدين والمنصور الموحد

بالإضافة إلى عدد من المصادر الجغرافية والرحلية والتراجمية الأخرى مثل نزهة المشتاق للإدرسي، ورحلة ناصر

خسرو، و كتاب العبر لابن خلدون وسير أعلام النبلاء لذهبي ومعجم البلدان للحموي وغيرها.

وختاماً، نسأل الله التوفيق في عرض هذا الموضوع، راجين أن نكون قد وفّقنا في تسليط الضوء عليه بما يليق بأهميته التاريخية.

مدخل

- المبحث الاول: ابن جبير ورحلته
- المبحث الثاني: أسباب وفود المغاربة على المشرق

مدخل

المبحث الأول: ابن جبير ورحلته

أولاً: التعريف بابن جبير

1. نسبه ومولده

هو أبو الحسين¹ محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكنايني البلبنسي الشاطبي²، من ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، دخل أبو الحسن إلى الأندلس مع جده عبد السلام في طالعة القائد المشهور بلج بن بشر بن عياض القشيري في شهر محرم من سنة 123 هـ، وكان نزوله ب كورة شذونة.³ ولد ابن جبير في العاشر من ربيع الأول 540 هـ، في بلنسية على مصب نهر الوادي الكبير في البحر الأبيض المتوسط.⁴

2. أخلاقه وصفاته

اشتهر ابن جبير بكثير من الصفات، مما جعلته محل تقدير في الأوساط العلمية والاجتماعية في عصره. اتصف ابن جبير بعلو الهمة ونقاء السريرة، وامتاز بورع ظاهر انعكس على سلوكه اليومي وعلاقاته مع محيطه، كما كان كثير الميل إلى الأعمال الصالحة، وهي سمة لطلما أشار إليها معاصروه ومن جاؤوا بعده.⁵ كان ابن جبير كاتباً متمكناً، يمتلك ناصية البيان والأسلوب، وقد جمع بين البراعة الأدبية والقدرة على التعبير الواضح، سواء في النثر أو الشعر. ويلاحظ في كتاباته حضوره الديني الواضح، إذ غالباً ما يُختتم نصه بالدعاء والتوكل على الله، وهو ما يعكس طابعاً تعبدياً متأصلاً لديه، دون أن يتعارض ذلك مع رصانته الفكرية أو أسلوبه الموضوعي.⁶ أضفى سلوكه المتزن وأخلاقه الحسنة قبولاً واسعاً له بين طلاب العلم، كما حاز احترام الحكماء، لا سيما في غرناطة. ساعده حسن خلقه وطريقته المتزنة في تعزيز مكانته بوصفه شخصية أندلسية مثقفة تمثل تلاقي العلم والأدب والدين.⁷

¹ ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار الصادر، بيروت، د.ت، ص 8.

² لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة بأخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ط 1، 2003م، ص 146.

³ المقرئ، نقح طيب من غصن الأندلس الرطيب، تح احسان عباس، دار الصادر، بيروت، ج 2، 1988م، ص 381-382.

⁴ عمر بلكاوي، مجيد حاجي، مصر والشام من خلال كتابات الرحالة ابن المغاربة رحلة جبير نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، إشراف بخلوة حسين، قسم العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2019-2020م، ص 11.

⁵ علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة التوبة، الظهران، السعودية، د ط، 1410 هـ، ص 174.

⁶ ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 146.

⁷ عواطف بنت يوسف النواب، الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة، دار الأندلس الخضراء، مج 1، ط 1، 2000م، ص 99.

3. حياته العلمية

1.3 دراسته

نشأ ابن جبير وتلقى تعليمه الأولي في مدينة شاطبة، حيث كان والده يعمل موظفًا في الإدارة المحلية، وهو ما أتاح له بيئة تعليمية مستقرة في ظل رعاية أسرية مهتمة بالعلم. وقد بدأ اهتمامه بعلوم الدين مبكرًا، إذ تلقى أصولها عن والده، كما حفظ القرآن الكريم على يد أبي الحسن بن أبي العيش، وهو أحد القراء المعروفين في شاطبة، وأخذ عنه القراءات.¹

ولم يقتصر اهتمامه على العلوم الشرعية، بل امتد إلى الآداب والعلوم الدنيوية، حيث برزت مواهبه الشعرية في وقت مبكر، وهو ما مهد له لاحقًا الاندماج في الأوساط الإدارية والثقافية، فاشتغل كاتبًا في بلاط والي غرناطة، أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن الموحي، وهو المنصب الذي عزّز مكانته وأكسبه شهرة بين الأوساط الأدبية والسياسية. وقد عُرف ابن جبير آنذاك كاتبًا وشاعرًا، وتُنسب إليه العديد من القصائد، فضلًا عن ديوان شعر مفقود وردت إشارات إلى وجوده في بعض المصادر.²

تلقى ابن جبير علومه على يد أربعة وعشرين شيخًا، منحوه الإجازة وأثروا في تكوينه الفكري والديني، وكان لهم الفضل في تعميق معرفته في مختلف فروع العلم، فقد تعلم اللغة العربية على يد ابن يسعون، كما أخذ العلم عن أبي جعفر القرطبي الفنكي، وسمع من أبي عبد الله الأصبلي، وأبي الحسن بن أبي العيش الذي تولى أيضًا تعليمه القراءات. ومن بين من أجازوه: أبو الوليد بن الدباغ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى التميمي السبتي.³ أما في رحلته إلى المشرق، فقد استمر ابن جبير في تلقي العلم على يد كبار علماء المشرق، فسمع في مكة من أبي حفص الميانشي، كما التقى في دمشق بالشيخ أبي الطاهر الخشوعي، فأخذ عنه مقامات الحريري بين القراء والسماع،⁴ في مؤشر واضح على اهتمامه بالأدب والبلاغة، إلى جانب العلوم النقلية. كما أجازته في المشرق عدد من الأعلام، من بينهم: أبو محمد عبد اللطيف الخجندي، وأبو أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي، وأبو محمد بن عساكر، وأبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم التونسي، وأبو جعفر أحمد بن علي القرطبي.⁵

2.3 تلاميذه

أُخذ عن ابن جبير عدد من التلاميذ الذين تتلمذوا عليه ومن بين هؤلاء التلاميذ الذين وردت أسماءهم نذكر: أبو تمام بن اسماعيل، أبو اسحاق بن مهيب، ابن الواعظ، أبو الحسن بن نصر بن فاتح بن عبد الله البجائي، أبو

¹ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح عبد السلام المراس، دار الفكر، بيروت، ج2، دط، 1995، ص109-110.

² زوليخة مجاهدي، المظاهر الحضارية في أدب الرحلات الاندلسية - ابن جبير نموذجًا -، أطوحة لنيل شهادة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، إشراف بغداد عبد الرحمن، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بكايد، تلمسان، 2021-2022، ص23-25.

³ عبد القدوس الأنصاري، مع ابن جبير في رحلته، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط1، 1976، ص41.

⁴ محمد السعيد محمد بركات، "صلات علماء الاندلس العلمية ببلاد الحجاز وأثرها في نخضة بلادهم الثقافية في القرنين الخامس والسادس الهجريين (11-12م)"، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، المنصورة، ع35، 2022، ص387-487.

⁵ الأنصاري، مرجع نفسه، ص43.

الحسن بن علي الشادى أو الشارى، أبو سليمان بن حوط الله، أبو بكر يحيى بن محمد بن أبي الغصن، أبو عبد الله بن حسن بن مجير وآخرون.¹

3.3 مؤلفاته

تُنسب إلى ابن جبير مجموعة من المؤلفات النثرية والشعرية، تناولتها بعض المصادر ومن بين هذه المؤلفات ما يلي:

رحلة ابن جبير، وعنوانها الكامل "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" وتعد من أهم مصادر الجغرافيا والرحلة في القرن السادس الهجري، وقد دُون فيها مشاهداته في مصر والحجاز وبلاد الشام وغيرها.

مجموع شعري "نتيجة وجد الجوائح في تأبين القرين الصالح"، وهو ديوان شعر يرثي فيه زوجته عاتكة أم المجد. وقد تضمن هذا العمل أكثر من ثلاثمائة بيت شعري.²

ديوان شعري آخر لم يصل إلينا، لكن أشار إليه ابن عبد الملك في الذيل والتكملة، وذكر أنه في حجم ديوان أبي تمام، ويجمع عددًا من القصائد المتنوعة.³

نظم الجُمان في التشكي من إخوان الزمان، وهو عمل شعري يحتوي على أكثر من مئتي بيت⁴ "اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك" وهي رسالة وصفية تُركّز على الأماكن والمشاهد الدينية التي مرّ بها، وهناك اختلاف في تصنيفها، حيث يرى بعضهم أنها خاتمة الرحلة، بينما أشار ابن عبد الملك إلى أنها رسالة منفصلة وُجّهت إلى أحد الأشخاص من مدينة فاس.

تشير هذه المؤلفات إلى تنوع اهتمامات ابن جبير بين الرحلة والشعر والوصف، إلا أن الرحلة تظل أبرز أعماله وأكثرها تداولًا في المصادر.⁵

4. عصر ابن جبير

1.4 وضع الأندلس السياسي

بعد انهيار دولة المرابطين في بلاد المغرب على يد عبد المؤمن بن علي زعيم الموحدية عمل على توطيد عرشه بالمغرب، اتجه اهتمامه نحو الأندلس التي كانت تعاني من اضطرابات سياسية وفراغ سلطة بعد ضعف المرابطين ووفاء علي بن يوسف بن تاشفين عام 539 هـ/1144م. وقد استغل الناقمون على حكم المرابطين هذا الضعف، فانتشرت الثورات في مناطق متفرقة، وسعى قادتها إلى كسب دعم الموحدية. ففي عام 539 هـ/1144م، أعلنت ولاية شريش بقيادة أبي الغمر بن عزون ولاءها للموحدين، تبعها مدينة قادس عام 540 هـ/1145م بقيادة علي بن عيسى بن

¹ الانصاري، مرجع سابق، ص42.

² الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج5، ط15، 2002، ص320؛ جابر الجبلي، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، دار الجيل بيروت، مع5، ط1، 2005م، ص123.

³ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص646.

⁴ شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994، ص497.

⁵ مجاهدي، المرجع السابق، ص29.

ميمون الذي خطب باسم عبد المؤمن في جامعها. وقد دفع هذا الوضع عبد المؤمن إلى إرسال ثلاثة جيوش إلى الأندلس في أواخر عام 540 هـ/ماي 1146م، بقيادة بزار بن محمد المسوقي وموسى بن سعيد وعمر بن صالح الصنهاجي، والتي تمكنت من الاستيلاء على طريف والجزيرة الخضراء.¹

وفي عام 541 هـ/1146م، قابل ابن حمدين زعيم ثورة قرطبة عبد المؤمن وطلب مساعدته، بينما حث أحمد بن قسي على عبور الموحدين إلى الأندلس. ونتيجة لذلك، دخل الموحدون باجة وبطليوس غربًا، وتم فتح إشبيلية عنوة في شعبان 541 هـ/يناير 1147م، رغم بيعه أهلها السابقة لعبد المؤمن عن طريق القاضي ابن عربي المعافري. وفي عام 542 هـ/1147م، استقلت ألمرية وسقطت مؤقتًا في يد الأساطيل الأوروبية قبل أن يستعيدها الموحدون عام 552 هـ/1157م. وقد شهد عام 543 هـ/1148م تنازل بني غانية عن قرطبة وقرمونة ودخول الموحدين جيان وبياسة. وقد استغل بعض القادة المحليين هذا الوضع لإعلان استقلالهم في مناطق مثل شلب وقادس وبطليوس، إلا أن جهود أبي الغمر بن عزون ساهمت في إعادة بسط النفوذ الموحيدي بعد استرداد الجزيرة الخضراء.²

بحلول عام 547 هـ/1152م، دخل الموحدون مالقة وغرناطة وأنقيرة. وفي عام 552 هـ/1157م، سلمت غرناطة نهائيًا للموحدين، لتنتهي بذلك سيادة المرابطين في الأندلس. وقد استمرت محاولات الاستقلال في شرق الأندلس بقيادة محمد بن سعد بن مردنيش في بلنسية ومرسية حتى انضم إلى الموحدين حوالي عام 555 هـ/1160م. وقد أولى عبد المؤمن اهتمامًا بتحسين الأندلس، فبنى مدينة جبل الفتح (جبل طارق) عام 556 هـ/1160م وعبر إليها بنفسه في العام نفسه. وبعد وفاة عبد المؤمن عام 558 هـ/1163م، خلفه ابنه أبو يعقوب يوسف.³، في البداية واجه يوسف بن عبد المؤمن معارضة من بعض إخوته حين حاول تسلّم الحكم بعد وفاة والده. فقد رفض كلٌّ من السيد أبو سعيد عثمان، والي غرناطة، والسيد أبو محمد عبد الله، والي بجاية، مبايعته. ولهذا السبب، لم يتمكن يوسف من اتخاذ لقب "أمير المؤمنين"، واكتفى بلقب "الأمير" فقط. قامت على يوسف عدة ثورات من بينها ثورة مردنيش الذي أثارها محمد بن سعد بن مردانيش كبير ثوار شرق الأندلس، وتم القضاء عليها بتحالف يوسف مع ملك قشتالة وليون فرناندو الثاني.⁴ في سنة 580 هـ/1184م قاد يوسف جيشًا متوجهًا نحو الأندلس، تحديدًا إلى مدينة شنترين، والتي كانت تُعد من أهم القواعد في غرب الأندلس التي استولى عليها البرتغاليون. وفي هذه الواقعة خسر المسلمون وتوفي الخليفة أبو يعقوب يوسف، وكان ذلك الثامن عشر لربيع الآخر 580 هـ / 1184م.⁵

تولى بعده أبو يوسف يعقوب المنصور الذي واجه فتنة بني غانية في أفريقية ثم انتصر في معركة الأرك عام 591 هـ/1195م. وقد توفي المنصور عام 595 هـ/1199م وخلفه ابنه أبو محمد عبد الله الناصر الذي شهد عهده ضعفًا في

¹ علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، دار البيارق للنشر، عمان د.ط، 1998 ص 113.

² عز الدين عمر موسى، الموحدين في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، الرياض، دط، 1990، ص 46.

³ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر محمد عبد الله عنان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ج2، دط، 2014، ص 59-76.

⁴ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، مصر، ط5، 2000، ص 221.

⁵ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب-قسم الموحدين-، تح محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985، ص 160-164.

الدعم الموجه للأندلس بسبب انشغاله بفتن تونس، وبلغ ذلك ذروته في هزيمة العقاب عام 609 هـ/1212م، وتوفي الناصر عام 610 هـ/1213م.¹

2.4 وضع المشرق السياسي

بدأت الأوضاع في مصر بالتدهور مع سقوط التمثال الشرقي الذي نذر بغلبة القادمين من الشرق، وهو ما واکب استيلاء صلاح الدين الأيوبي²، على الدولة الفاطمية، ازداد الأمر تعقيداً بمقتل طلائع بن زريك وصعود شاور للوزارة ثم عزله من قبل ضرغام. استغل عموري الأول ملك بيت المقدس هذه الفوضى ووصل إلى دمياط عام 558 هـ/1163م بحجة عدم دفع الجزية، لكن ضرغام تصدى له. لجأ شاور إلى نور الدين زنكي³ في دمشق طلباً للمساعدة ضد ضرغام، وعرض عليه التعاون مقابل نفوذ في مصر. تردد نور الدين خوفاً من الصليبيين، لكنه قرر أخيراً إرسال أسد الدين شيركوه مع شاور وصلاح الدين عام 559 هـ/1164م. استنجد ضرغام بالصليبيين، لكن شيركوه سبقهم إلى القاهرة وهزم ضرغام وقتله، ليتولى شاور الوزارة.⁴

لم يلبث شاور أن تنكر لشيركوه وخلف وعده، ومنعه من دخول القاهرة وطلب منه العودة إلى الشام. ردّاً على ذلك، احتل شيركوه بليس وعسكر فيها بجيشه، وأرسل إلى شاور يطالبه بما اتفقا عليه، لكن شاور لم يستجب. في المقابل، توجه شاور لطلب المساعدة من الفرنجة، وخوفهم من قوة نور الدين، مما دفعهم إلى مساعدته.⁵ لكن الجيوش الإسلامية بقيادة شيركوه، والتي كانت تقدر بألفي فارس فقط، تمكنت من هزيمة القوات المصرية والفرنجية في معركة البابين عام 561 هـ/1166م، ووصل شيركوه إلى الإسكندرية وتسلمها بمساعدة أهلها، بينما عاد هو إلى الصعيد في نفس العام. لم ييأس عموري، وسارع بشن حملته الثالثة عام 564 هـ/1168م واستولى على القاهرة. لكن شاور قام بحرق القسطنطينية وهدد بحرق القاهرة أيضاً، واتفق مع عموري على دفع مبلغ مائة ألف دينار⁶ لم يجد عموري حليفاً في مصر هذه المرة، فانسحب عائداً إلى فلسطين عام 564 هـ/1169م. أما شاور، فقد طلب المساعدة من الصليبيين مرة أخرى ودبر مؤامرة للقبض على شيركوه وأمرائه وقتلهم، لكن أعيان مصر قرروا قتل شاور وولده الكامل

¹ سهام مستاوي، شيماء شريف، العلاقات التجارية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي (541-668هـ/1147-1270م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ الغرب الإسلامي عصر الوسيط، إشراف زيان علي، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021-2022، ص 27-28.

² صلاح الدين هو يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن علي بن عنتة الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن هدية بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف بن أبي الحارث بن مرة بن غيظ بن ريث بن بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهو مؤسس الدولة الأيوبية؛ المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1 ط 1، 1997، ص 128.

³ هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الأتابك قسيم الدولة عماد الدين أبي سعيد زنكي، الملقب بالشهيد بن الملك آق سنقر الأتابك الملقب بقسيم الدولة أيضاً التركي السلجوقي مولاهم، ولد وقت طلوع الشمس من يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة 511هـ بجلب، ونشأ في كفاة والده صاحب حلب والموصل وغيرها من البلدان الكثيرة وتعلم الفروسية والرمي، صاحب الشام، الملك العادل، ناصر أمير المؤمنين، تقي الملوك، ليث الإسلام، ابن كثير (774هـ)، البداية والنهاية، تح رياض عبد الحميد ماد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ج 14، ط خ، 2015م، ص 30.

⁴ سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ج م، 1996م، ص 12.

⁵ ابن واصل، مفرج الكرب في أخبار بني أيوب، تح جمال الدين الشيال، ددن، دب، ج 1، دط، دت، ص 174-176.

⁶ قاسم عبده قاسم، علي السيد علي، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، دط، دس، ص 27.

عام 564 هـ / 1169 م، توفي شيركوه بعد شهرين، ليخلفه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي في نفس العام 564 هـ / 1169 م.¹

تولى صلاح الدين الوزارة في مصر خلفاً لعمه شيركوه من قبل الخليفة العاضد، الذي لقبه بالملك الناصر. واجه صلاح الدين في بداية ولايته معارضة داخلية، لكنه تمكن من تثبيت سلطته. سعى للقضاء على النفوذ الشيعي في مصر وأعاد الخطبة للخليفة العباسي عام 567 هـ / 1171 م.²

دخل صلاح الدين دمشق عام 570 هـ / 1174 م، ولم يلقى صلاح الدين أي مقاومة عند دخوله دمشق وقد استقبل استقبالاً طيباً وفتح له ابن المقدم أبواب المدينة وسلمها إياه واستولى على حلب ثم التقى عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل وهزمهم شر هزيمة³

واجه مقاومة من حلب بقيادة كمشتكين الذي تحالف مع الصليبيين والحشاشين. نقم الحشاشون على صلاح الدين لإسقاطه الخلافة الفاطمية، وبدأوا محاولات لاغتياله بتدبير من عمارة اليميني وسنان. أرسل سنان فدائيين لاغتيال صلاح الدين عام 570 هـ / 1174 م قرب حلب، لكن المحاولة فشلت. انتصر صلاح الدين على الزنكيين في معركة قرون حماة عام 570 هـ / 1175 م. تكررت محاولة اغتيال صلاح الدين من قبل الحشاشين عام 571 هـ / 1176 م قرب عزاز، لكنها باءت بالفشل أيضاً. حاصر صلاح الدين قلعة مصياف التابعة للحشاشين عام 571 هـ / 1176 م، لكنه اضطر للصالح والرحيل.⁴

دخل صلاح الدين حلب عام 579 هـ / 1183 م. في نفس العام، طلب صاحب الموصل وساطة الخلافة للصالح مع صلاح الدين، لكن جهود الوساطة لم تنجح في البداية. وصل رسل الخليفة الناصر إلى دمشق عام 580 هـ / 1184 م للتوسط بين صلاح الدين وصاحب الموصل، لكن دون جدوى في البداية. حاصر صلاح الدين الموصل للمرة الثانية عام 581 هـ / 1185 م، لكنه اضطر للصالح مع أهلها على شروط. استولى صلاح الدين على طبرية وعكا ويافا وبيروت وغيرها عام 582 هـ / 1186 م. بعد فتح بيت المقدس.⁵

¹ سعيد عاشور، المرجع السابق، ص 18.

² القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح: عبد القادر زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ج 4، دط، 1983 م، ص 145.

³ نادية سباق، العلاقات الخارجية للسلطنة الأيوبية مع الدول المجاورة عهد صلاح الدين الأيوبي 569-589 هـ/1174-1193، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، إشراف كمال بن مارس، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 08 ماي 1945، قالة، 2021-2022 م، ص 28.

⁴ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ج 9، دط، 2012 م، ص 342.

⁵ سباق، مرجع سابق، ص 39.

5. وفاته

بعد أن قام ابن جبير برحلته الثالثة إلى المشرق عام 601هـ/1204م، لم يعد إلى الأندلس مجددًا، ويعود سبب ذلك إلى حزنه الشديد على وفاة زوجته عاتكة أم أحمد إلى التوجه نحو مكة المكرمة، ثم بيت المقدس، ثم مصر والإسكندرية، حيث استقر هناك وكرّس ما تبقى من حياته للعلم والتعليم، حتى وافاه الأجل في مدينة الإسكندرية سنة 614هـ/1217م.¹

ثانياً: مسار الرحلة

1. أسباب الرحلة

كان الدافع الأساس الذي حثّ ابن جبير على القيام برحلته للحج، بسبب حادثة جرت في بلاط حاكم غرناطة، أبي سعيد بن عبد المؤمن، كانت بمثابة نقطة تحوّل في حياة ابن جبير. استدعاه الحاكم إلى مجلسه، وطلب منه أن يكتب عنه كتابًا، وكان ذلك أثناء مجلس شراب، فقدم له كأسًا من الخمر. أبدى ابن جبير امتناعه الشديد عن الشرب، مؤكدًا أنه لم يشرب الخمر قط، إلا أن أبا سعيد أصرّ وأقسم عليه أن يشرب، فاضطر ابن جبير، تحت وطأة الأمر السلطاني، إلى شرب سبعة كؤوس. إثر ذلك، قام الحاكم بملء الكأس بدنانير ذهبية وصبّها في حجره سبع مرات، مكافأة له على طاعته.

لقد شكّلت هذه الحادثة صدمة نفسية عميقة لابن جبير، الذي رأى أن ما وقع فيه يعد ذنباً يستوجب الكفارة والتوبة. فغلب عليه الشعور بالذنب، ما دفعه إلى اتخاذ قرار حاسم بتكفير ما بدر منه، وذلك من خلال أداء فريضة الحج بمال الطاعة الذي أُعطي له، بعد أن أضاف إليه ثمن بعض ممتلكاته التي باعها لهذا الغرض. لم يكتفِ بذلك، بل استخدم حنكته وذكاءه السياسي ليضمن خروجه من غرناطة دون معارضة من الأمير، فأبلغ أبا سعيد أنه قد أقسم قسمًا لا رجعة فيه أن يحج في تلك السنة، فلم يجد الأمير بُدًا من الإذن له بالسفر وكان ذلك سنة 578هـ/1183.²

2. مسار الرحلة

بدأ ابن جبير رحلته إلى المشرق في 8 شوال 578هـ/1183م من غرناطة، معتمدًا على المسار البحري، حيث عبر مضيق جبل طارق إلى مدينة سبتة، ثم استقل سفينة رومية متجهة إلى الإسكندرية. وقد واجه صعوبات جمة في هذه المرحلة البحرية، من بينها العواصف الشديدة وأهوال البحر.³

¹ عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب و مقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط1، سنة 1984، ص410.

² المقرئ، المصدر السابق، ص385-386.

³ مجاهدي، المرجع السابق، ص36.

وصل ابن جبير إلى الإسكندرية في 29 ذي القعدة 578هـ/1183م، ثم اتجه جنوبًا إلى القاهرة، ومنها عبر نهر النيل إلى مدينة قوص في صعيد مصر، ومن قوص عبر الصحراء الشرقية إلى ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر، حيث استقل سفينة متجهة إلى جدة.¹

وصل ابن جبير إلى جدة في 4 ربيع الآخر 579هـ/1183م، ثم توجه إلى مكة المكرمة، حيث أقام لمدة ثمانية أشهر وثلث الشهر. وبعد ذلك، زار المدينة المنورة.²

في طريق عودته، لم يسلك ابن جبير المسار المعهود، بل اتجه شمالًا نحو المشرق الإسلامي مع ركب الحجاج العراقيين، تفاديًا للمشاق التي واجهها في الحجاز وجدة وعيذاب. وقد مر بالكوفة وبغداد وسامراء وتكريت والموصل وحلب وحماة وحمص ودمشق.³

وصل ابن جبير إلى عكا، التي كانت تحت سيطرة الصليبيين، واستقل سفينة جنوبية متجهة إلى صقلية، حيث وصف حضارتها الزاهرة. ثم عاد إلى غرناطة عبر قرطاجنة في 15 محرم 581هـ/1185م.⁴ (الملحق 1)

المبحث الثاني: أسباب وفود المغاربة على المشرق

شهدت مصر خلال القرون الوسطى الإسلامية هجرات كثيفة من المغاربة والأندلسيين، وقد تعددت الأسباب التي دفعتهم إلى التوجه نحو المشرق، وتحديدًا مصر التي شكّلت نقطة العبور الرئيسية ومحطة الاستقرار لكثير منهم. وقد تضافرت مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية، كان لها أثر بالغ في تشكيل هذه الهجرات.

أولاً: الأسباب السياسية

من أبرز الأسباب التي دفعت المغاربة إلى الرحيل نحو المشرق، تلك التحولات الجذرية التي شهدتها الأندلس على الصعيدين السياسي والعقائدي. فقد أفضت الانقسامات الداخلية والتصّع السياسي في الأندلس، مضافاً إليه تنامي الخطر القشتالي في نهاية القرن الخامس الهجري، إلى حالة من القلق الوجودي لدى السكان.

وقد تجسدت هذه المخاوف عملياً مع سقوط دولة المرابطين وظهور الدولة الموحدية، حيث لم تكتف الأخيرة بإعادة تشكيل البنية السياسية، بل فرضت نسقاً عقائدياً صارماً لم يكن محل إجماع في الأندلس، مما جعل فئة من العلماء والمفكرين والوجهاء في حالة اصطدام صريح مع التوجه الرسمي. وكان من نتائج ذلك نزوح عدد من رموز هذه الفئة، أمثال أبي الوليد محمد بن عبد الله بن فيرة القرطبي، الذي آثر اللجوء إلى الإسكندرية، تجنباً لما رآه من عسف واضطهاد على يد الدولة الجديدة. ويذكر في هذا السياق ما أظهره الشاعر الوهراني في تعبير صريح حالة من السخط الشعبي والنخبوي تجاه الممارسات السياسية للموحدين، حين سُئل عن عبد المؤمن بن علي، فانتقده بأسلوب لاذع،

1 وناسة بودرع، شعيرة الوصف في أدب الرحلة رحلة ابن جبير أفنودجا، مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، إشراف عبد الرحمن مرزوق، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحيى، 2018-2019، ص 62.

2 عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 1، ص 83.

3 بلكاوي، حاجي، المرجع السابق، ص 22.

4 على إبراهيم الكردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، دط، 2013، ص 33-34.

قائلاً: "مؤيد من السماء خواض لدماء، مسلّط على من فوق الماء، حكم سيفه في المعمم وأعمله في رقاب الأمم..."¹.

ولم تكن هذه الهجرات مقصورة على الأفراد الهاربين من القمع أو الفارين من الحروب، بل شملت أيضًا شكلاً آخر تمثل في الرحلات السياسية والسفارات الرسمية. فقد شهدت تلك المرحلة نشاطاً ملحوظاً في التبادل الدبلوماسي بين دول المغرب والمشرق، سواء بغرض توطيد العلاقات، أو تسوية النزاعات، أو عقد التحالفات.²

ثانياً: الأسباب الاقتصادية

أدت الظروف الاقتصادية هي الأخرى دوراً بالغ التأثير في توجيه حركة الهجرة المغاربية نحو المشرق. فمع تراجع الحالة المعيشية في بلاد المغرب والأندلس، وما رافقها من غلاء أسعار، وانحيار في البنى التحتية، وانعدام الأمن في طرق التجارة، بالمقابل شاع على مصر الأمن والرخاء فيقول في ذلك العبدري: "وماظنك بأرض هي مسيرة شهر للمجد وطبيعة سهلة مغلّة مابها قرية إلا وتناظر أخرى ولابستا إلا وهو بسامي آخر... ومطأينة من الأرض متأصلة".³

وتبرز الإسكندرية في هذا السياق كميناء اقتصادي بالغ الحيوية، يجمع بين الحركة التجارية النشطة والموقع الجغرافي الاستراتيجي، وهو ما جعلها نقطة جذب للعديد من المغاربة. وتشير رواية الرحالة بنيامين التيطلي، الذي زار مصر في النصف الأول من القرن السادس الهجري، إلى النشاط الكبير للطائفة اليهودية الأندلسية هناك، مما يعكس حيوية المشهد الاقتصادي وقدرته على استيعاب واستقطاب الوافدين.⁴

ثالثاً: الأسباب العلمية والدينية

أما على المستوى الثقافي، فقد شكل المشرق العربي ولا سيما مصر مركز إشعاع علمي وروحي ظل يحافظ على جاذبيته بالنسبة للنخب المغاربية، خاصة في أوقات الأزمات الثقافية في بلادهم. وقد أدّى الغزو الهلالي، وما رافقه من دمار للحواضر العلمية وتدهور للثقافة، إلى زعزعة ركائز البيئة العلمية المحلية في المغرب، مما دفع عدداً من العلماء والمتصوفة إلى الرحيل.

شهدت مصر نهضة علمية كبرى، ساهم فيها السلطان نور الدين زنكي وسلاطين بني أيوب من بعده، حيث عملوا على محاربة المذهب الشيعي وإحياء المذهب السني من خلال بناء المدارس والمساجد والزوايا ودور الحديث. مما هيأ مناخاً ملائماً لاحتضان العلماء المغاربة، مثل اليسع بن حزم الغافقي، الذي أكرمه الناصر صلاح الدين، وكذلك القاسم بن فيرة الشاطي، وغيرهم ممن استوطنوا مصر وأسهموا في الحياة الفكرية فيها.⁵

¹ الحاج عيفة، إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع هجري 12-15م، مذكرة لنيل دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص32.

² سامية مصطفى مسعد، المغاربة ودورهم الثقافي في مصر عهد عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، د ب، ط1، ص25-26.

³ عاشور منصورية، المغاربة في البلاد المصرية (ق4-9هـ/10-15هـ)، بحث لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الاسلامي، إشراف علاوة عمارة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة-1، 2018-2019، ص84.

⁴ مرجع نفسه، ص81.

⁵ مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص17-18.

من جهة أخرى، شكّلت فريضة الحج دافعًا دينيًا وروحانيًا لرحلات المغاربة إلى المشرق، فيما عُرف باسم "الرحلة الحجازية"، إذ كانت تمرّ عبر مصر، وتحديدًا من بوابة الإسكندرية، التي كانت أول محطة لهم. وكان الحج فرصة للإقامة المؤقتة أو الطويلة في القاهرة، والانضمام إلى ركب الحج المصري، إلى جانب زيارة الأضرحة والمشاهد والآثار الدينية، والتعرّف على معالم الحضارة المشرقية.¹

ومن الجدير بالذكر أن طلب العلم في تلك الحقبة لم يكن يعتمد على الكتب فحسب، بل كان يقوم على التلقّي المباشر عن الشيوخ، والجلوس في حلقات الدروس، وهو ما جعل الرحلة العلمية إلى المشرق ضرورةً معرفية.² يقول في ابن خلدون: "إن الرحلة في طلب العلم و لقاء المشايخ مزيد كمال في التعلم و السبب في ذلك ان البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب و الفضائل تارة علما و تعليما و إلقاء... فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال".³

لم يقتصر طلاب المغاربة على تلقي العلم من شيوخ وعلماء مصر، بل تجاوز دورهم ذلك ليشاركوا بفاعلية داخل الحواضر المصرية، من خلال تنشيط حلقات العلم وممارسة التدريس بأنفسهم. وقد أدى هذا التفاعل العلمي والثقافي إلى نشوء عدد من المدارس التي حملت أسماء علماء أندلسيين، تقديرًا لمكانتهم ودورهم التعليمي، ومن أبرز هذه النماذج مدرسة أبي بكر الطرطوشي (ت 525 أو 527 هـ / 1130 أو 1132 م) بمدينة الإسكندرية، والتي اختصت بتعليم علوم الدين. وقد ضُمَّت هذه المدرسة بطابع عملي، حيث خُصص الطابق الأرضي للتدريس، بينما كان الطابق العلوي بمثابة سكن خاص للطرطوشي، الذي استقر فيها حتى وفاته، مكرّسًا حياته لنشر العلم والتعليم.⁴

1 عاشور منصورية، المرجع السابق، ص 65.

2 مرجع نفسه، ص 74.

3 ابن خلدون (ت 808هـ)، العبر، بيت الافكار الدولية، د د ن، د ط، د س، ص 294.

4 الضبي (ت 599هـ)، بغية الملمتس في تاريخ رجال أهل الاندلس، تح. ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ج 1، ط 1، 1989، ص ص 176-179.

الفصل الاول

صور التواصل السياسي والعسكري

- المبحث الاول : الجانب السياسي
- المبحث الثاني: الجانب العسكري

الفصل الاول: صور التواصل السياسي والعسكري

المبحث الأول: الجانب السياسي

على الرغم من أن رحلة ابن جبير تركز بشكل أساسي على وصف الأماكن المقدسة والشعائر الدينية والحياة الاجتماعية والاقتصادية التي شاهدها، إلا أنها تتضمن إشارات مهمة يمكننا من خلالها استنتاج جوانب من التواصل السياسي بين سلطة الموحدين والسلطات في بلاد المشرق.

في سياق سعي الموحدين لبسط نفوذهم وتوسيع خلافتهم في العالم الإسلامي، أولوا اهتماماً خاصاً بمصر، حيث أرسل المهدي بن تومرت دعاة بلغ عددهم واحداً وخمسين رجلاً، مما يعكس طموحه الواضح في نشر دعوته في هذه البلاد تحديداً، فضلاً عن إدراكه لحالة الضعف التي كانت تعاني منها الدولة الفاطمية في ظل حكم خلفائها المتأخرين.¹

إلا أن جهود خلفاء الموحدين الأوائل، المهدي وخليفته عبد المؤمن، قد تركزت بشكل كبير على مواجهة القوى المعارضة لهم في الغرب الإسلامي، سواء من النصارى في الأندلس أو إخماد الثورات القائمة ضدهم، واستغرقت هذه الصراعات فترة زمنية طويلة تقدر بأكثر من ثلاثين عاماً، مما شكل عائقاً أمام تحقيق طموحات عبد المؤمن التوسعية نحو المشرق الإسلامي. وعلاوة على ذلك، شهدت مصر تحولات سياسية مهمة تمثلت في خضوعها لسلطة الأيوبيين الصاعدة، الذين سرعان ما امتد نفوذهم خارج حدود مصر تحت مظلة التبعية للخلافة العباسية، وهو ما أضاف تحدياً آخر أمام مشروع الموحدين التوسعي الطموح.²

وقد تجسدت السياسة الموحدية تجاه المشرق الإسلامي في محاولة بسط نفوذها بدءاً من المناطق الشرقية للمغرب وصولاً إلى مصر، لكن تحقيق هذا الهدف كان مشروطاً بالقضاء على الوجود المرابطي أولاً والسيطرة على كامل ممتلكاتهم في المغرب والأندلس، وهو ما استهلك جل جهود عبد المؤمن. ومع ذلك، تشير المصادر التاريخية إلى تداول أخبار دعوة الموحدين بين أهل المشرق وترقبهم لقدوم عبد المؤمن لتخليصهم من الظلم، كما يذكر ابن جبير أمثلة على سوء الأوضاع في المشرق وحاجة أهله إلى التغيير على يد حكام المغرب العادلين في نظرهم.³ بل إن ابن القطان عقد مقارنة بين عدل الدولة الموحدية وظلم الدولة العبيدية في مصر، مشيراً إلى أحقية الموحدين في سيادة بلاد المشرق.⁴

¹ حسن خضيري أحمد، علاقات الفاطميين في مصدر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص90.

² بغداد غربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، محمد بن معمر، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، 2014-2015، ص235.

³ ابن جبير، المصدر السابق، ص55-56.

⁴ غربي، مرجع السابق، ص234.

وقد استندت هذه التطلعات إلى تصور الموحدين لأنفسهم كحركة إصلاحية تهدف إلى إقامة العدل وتصحيح ما اعتبروه انحرافاً عن الدين الحق في المناطق الأخرى من العالم الإسلامي. ويُعدّ ابن جبير مصدراً معاصراً يعكس هذه النظرة، إقامة العدل وتصحيح ما اعتبروه انحرافاً عن الدين الحق في المناطق الأخرى من العالم الإسلامي. ومؤكداً على أن "لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين".¹

وقد أثر هذا الطموح وعدم اعترافهم بالخلافة العباسية على علاقتهم بالقوى الصاعدة في المشرق كالأيوبيين، الذين كانوا ينظرون بعين الحذر إلى هذه التطلعات. فكانت حملة قراقوش² على المغرب وتحالف مع بني غانية هي إحدى هذه الخطوات التي بادر الأيوبيون باتخاذها.³

تطلع أهالي المشرق إلى التوسع الموحي حسب وصف ابن جبير باستشعارهم لملكة الموحدين القادمة، حتى أنهم كانوا يرمزون لذلك بشكل خفي قد يفضي إلى التصريح العلني، بل توقعوا قرب تملك الموحدين لتلك البلاد. فيقول ابن جبير: "أنه كان عندهم بالقاهرة برجان قديمان كان على أحدهما تمثال ناظر للشرق وكان على الآخر تمثال ناظر للغرب، وكانوا يرون أن سقوط أحدهما ينذر بغلبة أهل الجهة التي كان ناظر إليها على ديار مصر، وقد وافق سقوط التمثال الناظر للشرق استيلاء الغز بقيادة صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية وملكهم مصر، وأنهم الآن ينتظرون سقوط التمثال الناظر للغرب، ويرتقبون سقوطه صباحاً مساءً، وهم واثقون من سقوطه واستيلاء الموحدين على ديار مصر". ويذكر ابن جبير أن بعض الفقهاء المصريين أعدوا قصائد وخطابات ترحيبية بالخليفة الموحي المنتظر.⁴ وقد تجاوز هذا التوقع إلى اعتقاد البعض بسرعة سيطرة الدولة الموحدية على كامل المشرق بما فيه الحجاز والمناطق المقدسة، كما يروي ابن فرحون في ترجمته لأبي الوليد القرطبي، الذي هرب خوفاً من امتداد نفوذ عبد المؤمن إلى مصر والحجاز واليمن، مما يدل على الشهرة الواسعة والهبة العسكرية التي اكتسبتها الدولة الموحدية.⁵

ولم تقتصر هذه الطموحات التوسعية على المهدي وعبد المؤمن، بل إن الخليفة أبا يوسف يعقوب المنصور الموحي كان كثيراً ما ينتقد أوضاع المشرق ويظهر نيته التوجه إليها لتطهيرها مما وصفه بالمنكر والبدع.⁶ وفي خضم هذه التطورات، سعى صلاح الدين الأيوبي إلى تعزيز موقفه في مواجهة الحملات الصليبية

¹ ابن جبير، المصدر السابق، ص 56.

² تمرد شرف الدين قراقوش، أحد أتباع صلاح الدين الأيوبي، في إفريقية بعد تحالفه مع علي بن غانية ضد الموحدين، مستغلاً ضعف الدولة آنذاك. وبعد سلسلة من المعارك، هُزم الموحدون في البداية، لكن الخليفة المنصور تدخل شخصياً، فانتصر في معركة الحامة وقتل ابن غانية، ثم واصل حملته لاستعادة المدن. حاول قراقوش خداع المنصور بالتوبة، ثم عاد للتمرد وقتل عدداً من شيوخ الأعراب، فثاروا عليه وتحالفوا مع يحيى بن غانية، إلى أن قُتل قراقوش وابنه في حصن بودان، لتنتهي فتنته؛ وكان ذكاري المطيري، "حركات المعارضة في عهد المنصور الموحي (يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) (580-895هـ/1184-1199م)"، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ص 457-494.

³ محمد علي الصلابي، تاريخ دولتين المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا، دار المعرفة، بيروت، ط 2009، ص 389.

⁴ ابن جبير، مصدر سابق، ص 57.

⁵ غربي، المرجع السابق، ص 235.

⁶ محمد جمال محمود الهوي، أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحي (595هـ-580هـ) (1199م-1184م)، بحث للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف خالد يونس الخالدي، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2017م، ص 44.

المتجددة، ولذلك أرسل سفارات إلى حكام المسلمين يطلب تأييدهم، وكانت إحدى هذه السفارات متجهة إلى الخليفة المنصور الموحيدي. وقد حمل أبي الحارث عبد الرحمان بن منقذ¹ رسالة من صلاح الدين إلى المنصور يستمده فيها ويستنصره لقتال الجيوش الفرنجة الزاحفة على مصر والشام، ويصف له جهوده في محاربة الصليبيين وتداعيات ذلك على تحالف القوى النصرانية ضده²، ويطلب منه إمداد الشام بأسطول بحري وإرسال جزء آخر إلى صقلية لعرقلة الإمدادات الصليبية. وقد أثنى ابن منقذ على المنصور بقصيدة، وحظي باستقبال حسن وتكريم في بلاطه بفاس. وكان عنوان الكتاب الذي أرسله " إلى أمير المسلمين " وفي أوله " الفقير الى الله تعالى يوسف بن أيوب " كان الكتاب من إنشاء القاضي الفاضل³، يستصرخه ويستنصر ويطلب صلاح الدين أن يمد الشام مسرح القتال بشطر من أساطيله (الملحق2)، ويذكر أنه لما استقام الأمر على يد صلاح الدين وانتظم ملك مصر والشام بعث بهديته إلى المغرب مع ابن منقذ. والهدية شملت مصحفين كريمين، ومائة درهما من دهن البلسان، وعشرين رطلا من العود وستمئة مثقال من المسك والعنبر وخمسين قوسا عربيا بأوتارها وعشرين من الفصول الهندية وسروج عدة مثقلة⁴. إلا أن المنصور الموحيدي لم يستجب بشكل مباشر لطلب صلاح الدين بإرسال الأسطول، واعتذر عن ذلك⁵.

ومع ذلك، فإن تقدير موقف المنصور من رسالة صلاح الدين بسبب الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة الموحدية آنذاك، حيث كانت أراضيها في بلاد المغرب مهددة، ولم تكن الأخطار التي تواجهها أقل من الخطر الصليبي على عكا. كما أن الصراعات الداخلية في بلاد المغرب وتذبذب ولاء القبائل العربية بين الموحيدين والأيوبيين، وموقف الدولتين المتناظرتين سياسياً ومذهبياً، كان له تأثير على هذا الموقف. بالإضافة إلى ذلك، كانت حملة قراقوش على المغرب وتحالف مع بني غانية، في ثورتهم ضد المنصور، عوامل أخرى أثرت في العلاقات بين الدولتين⁶.

ويرى بعض المؤرخين أن الدعاية الموحدية وتبني خلفائها لقب الخلافة، واعتبارهم أنفسهم الأحق بتسيير العالم الإسلامي في ظل ضعف الخلافة العباسية، ربما كانت سبباً في توتر العلاقات مع الأيوبيين الذين ربما كانوا يشعرون

¹ ابن المنقذ: هو الأمير أبو الحارث عبد الرحمن بن مرشد بن علي بن منقذ بن نصر بن منقذ ابن أخي أسامة بن منقذ الشام المشهور، ولد في شيرز سنة 603 هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 511 هـ؛ أبي شامة(ت665هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح. إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002، ص111.

² مزوزية حداد، سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية(515-668هـ/1121-1269م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012-2013، ص225.

³ القاضي الفاضل(526-596هـ) هو عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد ابن الفرج أبو علي اللخمي الشامي البيسانى كاتب وزير ومستشار صلاح الدين الأيوبي: الذهبي(ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ج1، 2004، ص3078؛ ابن الجوزي(ت654هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ت. إبراهيم الزبيق، الرسالة العالمية، بيروت، ج22، ط1، 2013، ص83.

⁴ ابن خلدون، العبر، دار الفكر، بيروت، ج6، 2000، ص331؛ أبي شامة(ت665هـ)، مصدر سابق، تح. إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج4، ط1، 1997م، ص204.

⁵ محمد راشد بن خلفان، العلاقات السياسية والعسكرية بين الدولة الايوبية بمصر والشام(567هـ-648هـ) ودولة الموحيدين بالمغرب والاندلس(540هـ-620هـ/1145-1223م)، ص358-404.

⁶ مرعي خلف الله ابتسام، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي 524-936هـ/1130-1529م، دار المعارف، دط، 1885، ص156-167.

بالخطر الموحيدي أكثر من غيرهم.¹ كما أن انشغال المنصور بالإعداد لمعركة الأرك الحاسمة في الأندلس، والأوضاع المضطربة التي أعقبت سقوط مدينة شلب في يد البرتغاليين، ومرضه الذي أقعده في مراكش، كلها عوامل تفسر عدم استجابته الفورية لطلب صلاح الدين. بل إن محاولات ملك قشتالة استغلال فترة الهدنة والاعتداء على الأندلس، استدعت تركيز المنصور على إعادة الأمن في دولته ومواجهة هذه التحديات.²

يتبين أن سفارة صلاح الدين إلى المنصور الموحيدي كانت حدثاً مهماً يعكس طبيعة العلاقات بين الدولتين في تلك الفترة، ومكانة المنصور والأوضاع السائدة في المشرق. وقد دفعت الظروف الصعبة التي كان يمر بها صلاح الدين إلى تعجيل طلبه وتكراره، بينما جاء رفض المنصور نتيجة لاعتبارات متعددة تتعلق بأوضاع دولته والتحديات التي كانت تواجهها. وقد سلك الموحدون، مثل المرابطين من قبلهم، اتجاهاً مغايراً للقوى السياسية المعاصرة لهم، حيث لم يعترفوا بالخلافة العباسية واعتبروا أن مركز الخلافة الشرعية هو مراكش، وكان لديهم طموحات واضحة لتوحيد العالم الإسلامي تحت لوائهم، وهو مادفع الأيوبيين إلى اتخاذ خطوات استباقية في محاولة للحد من نفوذهم في المشرق. وتشير بعض الأحداث، مثل تفتيش أحمد بن حسان في الإسكندرية واستجوابه على أخبار المغرب إلى حالة التوتر التي كانت قائمة بين الدولتين.³

¹ مجهول، رسائل موحدية، تح أحمد الغزاوي، ج2، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، ط1، 2001، ص83.

² محمد راشد بن خلفان، العلاقات السياسية والعسكرية بين الدولة الأيوبية بمصر والشام (567هـ-648هـ) ودولة الموحدين بالمغرب والأندلس (540هـ-620هـ/1145-1223م)، مجلة المؤرخ المصري، ع65، 2024، ص358-404.

³ ابن جبير، المصادر السابق، ص13.

المبحث الثاني: الجانب العسكري

أولاً: الوعي الجهادي المغاربي تجاه المشرق خلال الحروب الصليبية

أبدى المغاربة تفاعلاً على الحروب الصليبية، وقد تجلّى هذا التفاعل من خلال اندفاع العديد من المجاهدين المغاربة للهجرة نحو المشرق للمشاركة في الجهاد ضد الصليبيين. فقد هزّت المعارك التي اندلعت بين المسلمين والصليبيين مشاعر الحميّة الدينية في نفوس المغاربة، مما دفع كثيرين منهم إلى اتخاذ قرار الجهاد، لا سيّما بعد أداء فريضة الحج، حيث كانت بلاد الشام وجهة رئيسية للزيارة والرباط في سبيل الله.

برز من هؤلاء من كان يقسّم عمره بين المراقبة سنة في الأندلس وسنة في المشرق، بنية الجهاد والدفاع عن الثغور الإسلامية، وهو ما ساهم في تعزيز وحدة الصف الإسلامي ومواجهة العدوان الصليبي. وقد عكست هذه التحركات مدى الانخراط المغاربي في قضايا الأمة الإسلامية، بما في ذلك تحرير بيت المقدس.¹

كما ظهر اهتمام عدد من علماء المغرب الأقصى بقضية القدس، ومنهم الإمام أبو الحكم بن برجان، وعبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد اللخمي، المدفون بمراكش (ت 590هـ/1194م)، الذي أشار في تفسيره إلى تاريخ تحرير القدس سنة 583هـ / 1187م. ومن جهة أخرى، أبدى الشيخ محي الدين بن عربي مواقف واضحة تجاه المدينة المقدسة، فحرّم زيارتها ما دامت تحت سيطرة الصليبيين، معتبراً أن المسلمين الزائرين والمقيمين فيها آنذاك خاضعون لسلطة الكفار، حيث قال: "لهذا حجرتنا في هذا الزمان على الناس زيارة بيت المقدس والإقامة فيه، لكونه بيد الكفار، فالولاية لهم، والتحكم في المسلمين، والمسلمون معهم على أسوأ حال...".²

وقد عمّ الفرخ أرجاء العالم الإسلامي عند تحرير بيت المقدس على يد القائد صلاح الدين الأيوبي، حيث وصف ابن جبير الأجواء بقوله: "ولما شاع الخبر المبهج للمسلمين جميعاً حينئذٍ بفتح بيت المقدس...". وقد بعث صلاح الدين برسالة إلى الخليفة الموحي يعقوب المنصور، يبشّره فيها بالنصر على الروم وفتح القدس الشريف عام 583هـ، مما أحدث موجة فرح عارمة في أوساط المغاربة.

ويذكر أن الأمير عبد العزيز تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي، أحد المغاربة الذين رافقوا صلاح الدين في جهاده، نقل عن القائد الأيوبي قوله، عندما أصيب بمرض شديد سنة 582هـ/1186م: "نذرتُ إن شُفيتُ من مرضي هذا، ألا أقاتل مسلماً بعد اليوم، وأن أكرّس جهادي لقتال الصليبيين فقط"، مما يؤكد توجهه الاستراتيجي نحو توحيد الجهود الإسلامية ضد العدو الخارجي.³

¹ أحمد بن خيرة، دور المغاربة والأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين 5 و9 هجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف شرفي أحمد، قسم تاريخ، جامعة الجزائر2، 2010-2011، ص121.

² مرجع نفسه، ص 122، 123.

³ هابل مضفي البري، محمود محمد الروضي، "القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي والافرنج(الصليبيون) (583هـ/1187م-589هـ/1193م)"، مجلة بحوث العلوم الانسانية، جامعة غزة الإسلامية، مج30، ع3، 2022، ص ص161-193.

ثانياً: إسهامات المغاربة في الجهاد ضد الصليبيين

إن اشتراك الأندلسيين والمغاربة في الحروب ضد الصليبيين واضح من خلال الملاحظات التي دوّنها ابن جبير خلال زيارته لبلاد الشام، حيث إن تقديم المساعدة من المغاربة للمشاركة جعل الصليبيين يتخذون إجراءات مضادة ضدهم، بفرض الضرائب عليهم.

قال ابن جبير عندما زار حصن تبين: "وكان مكاناً لتمكيس القوافل... ولا اعتراض على غيرهم". وسبب ذلك أن طائفة منهم غزت مع نور الدين أحد الحصون.

وقد استمرت مشاركتهم في الفترة التي تلت انتهاء حكم نور الدين زنكي، فظهرت على وجهين: الأول كمحاربين أساسيين، والثاني كمرافقين للجيش. وقد ساهموا مساهمة فعالة في الجهاد ضد الصليبيين على سواحل مصر والشام مع عساكر نور الدين.¹

أشار ابن جبير إلى قول الفرنج: "إن هؤلاء المغاربة كانوا يختلفون إلى بلادنا، ونسلمهم ولا نُنزِلُ بهم شيئاً، فلما تعرضوا لحرنا وتألّبوا مع إخوانهم المسلمين علينا، وجب أن نضع هذه الضريبة عليهم، فللمغاربة في أداء هذا المكس سبب من الذكر الجميل في العدو".²

إن أول تدخل مغربي في الحروب الصليبية كان عام 543هـ/1148م، وهو تاريخ استشهاد الإمام المغربي يوسف بن دوناس الفاسي.

عندما حاول الصليبيون احتلال دمشق، وفي أثناء حصار الإفرنج لها، اجتمع أهلها لتدارس الطرق الناجعة في الدفاع ومن الخدمات التي قدمها المغاربة أثناء الحرب، نذكر أهمها، وهي:

1. التطبيب

لم يقتصر دور المغاربة في الجهاد فقط، بل شمل نواحي أخرى، من بينها تقديم أطباء أندلسيين لصلاح الدين وجيشه، ولجتمع بلاد الشام. ويلاحظ أنه منذ منتصف النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بدأ الأطباء الأندلسيون يتوافدون إلى دمشق. ومن هؤلاء الأطباء أذكر: أبو الحكم تاج الحكماء عبد الله بن المظفر (ت 486هـ/1076م)، وابنه أبو المجد محمد بن عبد الله الباهلي، الذي جعله نور الدين زنكي مسؤولاً أول عن إدارة البيمارستان في دمشق.

¹ محمد عيساوة، "الدور العسكري للمغاربة في الحروب الصليبية بالشرق الاسلامي من بداية الفاطميين الى نهاية المماليك (362هـ-922هـ/973م-1517م)"، دراسات تاريخية، عنابة، ع6، ص185.

² ابن جبير، المصادر السابق، ص274.

2. التبرع بالمال

تجلى إسهام المغاربة في تقديم الأموال من أجل تجهيز المقاتلين بالسلاح والعتاد وغيره. كما تم تدعيمهم بمادة الخشب لصنع السفن. وقد تمثل دورهم في استمرارية التعاون، والتضامن، ومرافقة الجيش، وظهرت أعداد كبيرة منهم في تجهيز الحمامات للجنود. يقول المقرئزي: "أكثر من ألف حمام، وكان أكثر من يتولاه المغاربة...".¹

3. الخطاب الديني المغربي في نصرة صلاح الدين:

عند زيارة ابن جبير لدمشق سنة ، قام بالدعاية لصلاح الدين الأيوبي، لما يقوم به من أعمال جليلة، ولا سيما في بيت المقدس، وقد قام المغاربة بعد تحرير بيت المقدس بالتذكير بالأحداث في كل مناسبة دينية، وبخاصة خلال خطب أيام الجمعة. ومن بين مساهماتهم في نصرة إخوانهم، كان الفاتح العربي صلاح الدين يحظى بتقدير خاص لدى بعض نخب المغاربة، ومن نماذجهم: اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي الجياني، وهو أول من خطب على منابر القدس، وكذلك أبو الحسن بن جميل، وعلي بن محمد بن جميل المعافري، الذي استوطن الشام، وكان خطيباً فيها عند تحرير القدس سنة 580هـ/1185م.²

وما يؤكد اشتراك المغاربة في الحرب مع صلاح الدين هو ما ذكره صلاح الدين المنجد، أن عدد المغاربة في جيش صلاح الدين أثناء حصار عكا سنة 583هـ/1187م، يتراوح ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف، كذلك من أشهر الحوادث المعروفة عند الأندلسيين والمغاربة.³

ثالثاً: بروز المغاربة في المعارك خلال حروب الصليبية

إن وجود المغاربة في كل من مصر والشام في حروب ضد الصليبيين أكسبهم شهرة واضحة عند المشاركة. وإن مهارتهم في جهاد وقيادة السفن جعلهم معروفون بفرسان البحر. يذكر ابن جبير أن الحملات البحرية التي قادها حسام الدين لؤلؤ، قائد الأسطول المصري سنة 583 هـ-1187م ضد الصليبيين كانت تضم عدد كبير من أنجاد المغاربة.

حيث أن المغاربة استجابوا لنداء صلاح الدين للعمل في مجال البحرية وهم من ساهموا في إعداد الأسطول المصري، نجد أن البحار المغربي ساهم في حروب وكان يقال لهم المجاهدون في سبيل الله اشترك عدد كبير منهم في مهاجمة مراكب الصليبيين عند عيذاب وقت تعرضها لعدوان أرناط واستعان الحاجب حسام الدين لؤلؤ بجماعة منهم في مراكب عمرة من مصر والإسكندرية في مهاجمة الفرنج، وحرقتها وأسر من كان بها.⁴

¹ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج6، ط4، دار الكتب العلمية، 2003، ص348.

² هبلة بنت عبد الرحمن السهلي، "دراسة تاريخية تحليلية عن دور العرب في مواجهة الغزو الصليبي لبلاد الشام ومصر خلال الحروب الصليبية"، مجلة عصر، ع32-33، 2016، ص390-268.

³ محمد مؤنس أحمد عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، دب، ط1، 1995، ص288-307-308.

⁴ علي أحمد، "مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام"، مجلة التراث العربي، ع67، دمشق، ماي 1997م، ص72-87.

أشار ابن جبير "أنهم كانوا عازمين على دخول مدينة الرسول ﷺ وإخراجه من الضريح المقدس"، فلما وصل الخبر إلى مصر عملوا على إفشال مخططهم بمساعدة من المغاربة¹.

¹ ابن جبير، المصدر السابق، ص 35.

الفصل الثاني

صور التواصل الاقتصادي والاجتماعي

- المبحث الاول: الجانب الاقتصادي
- المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي

الفصل الثاني: صور التواصل الاقتصادي والاجتماعي

المبحث الاول: الجانب الاقتصادي

اكتسبت بلاد المشرق الإسلامي، أهمية استراتيجية بالغة، حيث شكلت مع بلاد المغرب وحدة اقتصادية متكاملة بفعل الروابط التجارية وغير التجارية الوثيقة التي جمعت بينهما. وقد تحولت هذه المنطقة في تلك الحقبة إلى حلقة وصل محورية، رابطة بين الشق الغربي والشرقي من العالم.

أولاً: الزراعة

تزخر البلاد المشرقية بمؤهلات إقتصادية يتضح ذلك من خلال المصادر التاريخية وخاصة الجغرافية فإن جبير أشار إلى الأراضي الخصبة الممتدة من الإسكندرية إلى القاهرة، وعدّها من أطيب البلاد زرعاً. وقد وقف عند مناطق مثل دندرة، التي وصفها بأنها "كثيرة النخل مستحسنة المنظر"، كما لاحظ في دمنهور وجود أراضٍ زراعية غنية تشكل جزءاً من المنظومة الزراعية المترابطة بمصر، ويبرز أهمية نهر النيل في ازدهار النشاط الزراعي ما يعكس الدور الاقتصادي المركزي للزراعة في تلك البلاد. ومنفلوط، التي اشتهرت بجودة قمحها، ما يدل على قيمة إنتاجها الفلاحي محلياً وإقليمياً. وكذلك مدينة أسيوط التي انتشرت فيها بساتين النخيل.¹

أما الحجاز كان يتمتع بنشاط زراعي متطور، رغم قساوة الطبيعة الصحراوية، لا سيما في مكة والطائف، وذلك بفضل الآبار المنتشرة والأودية المستصلحة. وقد أرجع ابن جبير هذا التقدم إلى استقرار جالية مغربية ذات دراية بالزراعة، أسهمت في تحسين الأراضي واستغلال الموارد. وتحدث عن وفرة المحاصيل من رمان وباذنجان وبطيخ، وعن توفر اللبن والعسل، ما يدل على تنوع الفلاحة الحجازية، وعلى حضور تبادل اقتصادي بين سكان المشرق والمغرب الإسلامي.²

أبدى ابن جبير إعجابه الشديد بازدهار الزراعة بالعراق، لا سيما في منطقة الحلة وما بين الحلة وبغداد، حيث رأى أراضي فسيحة تحترقها فروع نهر الفرات، تُسقى بالماء الغزير المتدفق، ما جعلها خصبة غنية بالمحاصيل. كما لاحظ تنوع أساليب الري ما بين الأنهار والبرك والآبار، وذكر مشاريع المياه التي أنشأتها زبيدة بنت جعفر الهاشمية، مثل الآبار والبرك والمصانع المائية المنتشرة في الطريق من مكة إلى بغداد، والتي ساعدت في ري الأراضي وتسهيل السفر.³

تميّزت مدينة بغداد بخصوبة أراضيها الزراعية ووفرة إنتاجها من المحاصيل والسلع الصناعية، وهو ما مكّن الدولة من تحقيق فائض تجاري يُوجّه نحو التصدير. أدى نهر دجلة دوراً محورياً في دعم هذا النشاط، حيث سهّل حركة التجارة الداخلية من خلال استقبال القوافل التجارية القادمة من مصر، والشام، والمناطق الغربية من الدولة

¹ ابن جبير، المصدر السابق، ص 18-35-40.

² مصدر نفسه، ص 99.

³ مصدر نفسه، ص 189-190.

الإسلامية، كما مكن من الربط مع التجارة العالمية، لاسيما من الصين والهند عبر طرق بحرية، ومن بلاد الروم وأرمينيا عبر الطرق البرية.¹

وأشار إلى قرى مثل رأس العين ونصيبين وديصر، التي تحفها بساتين الفواكه وترويه عيون المياه، ما يدل على نشاط زراعي متكامل. كل هذا يؤكد أن العراق كان قطبًا زراعيًا بارزًا، يتفاعل مع محيطه تجاريًا ويُصدر فائض إنتاجه.²

أما في الشام، فقد أفاض ابن جبير في وصف دمشق، التي اعتبرها "جنة المشرق" لما تمتاز به من خضرة وغطاة تمتد على مد البصر. وقد شبه بساتينها بـ"الحلل السندسية"، مشيرًا إلى كثافتها لدرجة حجبت المباني، وتنوع مزروعاتها من زيتون، مشمش، تين، كرم، خوخ، وتفاح، إضافة إلى الرياحين والأزهار. وأشار إلى أن أرضها تسأم كثرة الماء من فرط السقي، مما يدل على غزارة مواردها المائية. كما وصف مدناً أخرى كحماة وحلب ومنبج، باعتبارها مناطق زراعية ذات إنتاج غزير من الفواكه، خصوصاً التين والزيتون والفسق. ولفت إلى أن مدينة حلب كانت "أخصب بلاد الله وأكثرها رزقاً"، ما يعكس اندماج الزراعة ضمن النشاط الاقتصادي الأوسع، مع دور واضح في التبادل التجاري مع مناطق أخرى.³

من خلال مذكره ابن جبير في وصفه لخيرات البلاد المشرقية فاشتغل المغاربة في الزراعة والبستنة اذ مارس عدد منهم هذا النشاط ولاسيما في الايام العvisية فالعمل في البستنة من أهم الحرف التي اشتغلها المغاربة لضمان حاجياتهم فالوافدين من المغاربة خاصة طلبة العلم أو من لا يحسن حرفة توفر لهم البستنة قوتهم مثال المتصوف المغربي أبو موسى الدكالي(ت632هـ/1234) الذي عمل في حراسة الكروم وحفظها بمدينة الاسكندرية، وهناك من امتلكوا الاراضي واستزرعوها، أو الذين عملوا عند مالكين مصريين وغيرهم.⁴

ثانيا: الصناعة

تميز الجانب الصناعي في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى بتنوعه وارتباطه الوثيق بين المشرق وبلاد المغرب، وكانت مصر من أوائل المناطق التي أدت دورًا صناعيًا وتجاريًا مهمًا، حيث ازدهرت فيها صناعة الأنسجة الحريرية، وارتبطت هذه الصناعة بدار الكسوة التي كانت تُعنى بإنتاج الكسوة الشريفة للكعبة.

اهتم الصناع المغاربة بتطوير صناعة الأنسجة الحريرية، حيث أدخلوا الأقمشة في صناعة الخيام، فضلاً عن استخدامها في صنع المخاد والمراتب والستور، وكانوا يزينونها أحياناً بالديباج، مما جعل منها سلعة ذات قيمة اقتصادية وكنزاً مدخراً. وقد تمكن أحد المغاربة من امتلاك مصبغة في مدينة القسوط بمصر، ووسّع نشاطه حتى

¹ ابن جبير، المصدر السابق، ص206-207.

² مصدر نفسه، ص214-216-217.

³ مصدر نفسه، ص234.

⁴ توهامي مكاني، إسهامات علماء المغرب الاوسط ببلاد المشرق الاسلامي من القرن 07-13/09-15م، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ الوسيط، إشراف الحاج عيفة، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر-2-أبو القاسم سعد الله، 2020-2021، ص203.

وصل إلى الهند. كما استقر مغربي من المهديّة يُعرف بإبراهيم بن بيجو في الهند بين سنتي 527هـ/ 1132م و544هـ/ 1149م، وكان يمتلك مصنعًا للنحاس الأصغر، وتربطه علاقة وطيدة مع وكيل تجار الفسطاط.¹

لم تقتصر المنسوجات في مصر على الأقمشة الحريرية فحسب، بل شملت المخاد، والمراتب، والستور التي كانوا يزينونها في بعض الأحيان بالديباج، وكانت تُعدّ ثروة ذات قيمة عالية تُخزّن وتُدّخر. كما اشتهرت مدينة دمياط بصناعة نسيج الكتان المعروف بـ"الدمياطي" وتميزت هذه المدينة بموقعها على نهر النيل بالقرب من البحر، مما جعلها مركزًا تجاريًا وصناعيًا مهمًا، حيث ارتبطت بصناعة الأقمشة الممزوجة بخيوط الذهب والحري، بالإضافة إلى صناعة السكر بفضل وجود مزارع القصب، وكانت سلعتها مطلوبة نظرًا لجودتها. ومع توافد التجار من مختلف الأقاليم، أُقيمت فيها الفنادق والقياسر لإيوائهم. كما شهدت مناطق الفيوم وإخميم وأسيوط ازدهارًا في صناعة النسيج الصوفي، خاصة في إنتاج الطرز الشفافة المطرزة والمخططة، والتي ارتبطت بتربية الأغنام في هذه المناطق.²

كما عُرف استخراج اللؤلؤ كأحد الصناعات النفيسة، حيث كانت تتم عملية الغوص لاستخراجه من بحر عيذاب، وكان اللؤلؤ يُشبه بمحارتين من الفضة، ويُعد من الأحجار الكريمة ذات القيمة العالية³، كان اللؤلؤ المشرقي يأتي إلى بلاد الأندلس، وهذا لأن التجار الأندلسيون يفضلونه على غيره، سواء أكان كبيرًا أم صغيرًا.⁴

أما في العراق، فقد تطورت صناعة الزجاج بشكل لافت في العصر العباسي، حيث ورث العباسيون هذه الصناعة من الأمم السابقة، إلا أنهم قاموا بتحسينها من خلال رفع نسبة الصخور الرملية في تصنيعها، ما أدى إلى إنتاج زجاج أكثر صلابة وجودة. وشملت استخدامات الزجاج العباسي الأواني والأقداح والكؤوس والقناديل، كما استُخدم الزجاج المنقوش فنيًا في تزيين نوافذ البيوت والمساجد، وكان يُثبت باستخدام الجبس، مما أضفى على العمارة طابعًا جماليًا. وتم تزيين الأدوات الزجاجية بالألوان الأحمر، والأبيض، والأخضر، والذهبي، كما رُسمت على الأقداح مشاهد لصيد الحيوانات، وصور بشرية، ونقوش نباتية، وكتابات عربية دقيقة، وقد بلغت شهرة الزجاج العباسي الآفاق حتى وصلت إلى بلاد الأندلس.⁵ ومن أبرز ما ذُكر عن مدينة بغداد هو ما نقله ابن جبير حول انتشار صناعة الثياب العتائية المصنوعة من القطن والحري، والتي تميزت بألوانها المتعددة، وكانت تُنتج في محلات متخصصة، مما يدل على وجود تنظيم صناعي وتجاري واضح.⁶

¹ مكاني، مرجع نفسه، ص207.

² وليد مسعودي، موسى مسعودي، التجارة بين الأندلس والمشرق الإسلامي في القرن الخامس والسادس هجري، مذكرة لنيل شهادة ماستر، إشراف رقي الربيع، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة أكلي محمد أولحاج، البويرة، 2021-2022، ص51.

³ ابن جبير، المصدر السابق، ص46.

⁴ مسعودي، مسعودي، مرجع سابق، ص70.

⁵ سهى سلسبيل مريسة، غدير مشيك، مدينة بغداد ودورها السياسي والحضاري خلال العصر العباسي الأول (123هـ-750م/232هـ-847م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ المشرق، إشراف عاشور صيد، قسم تاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 08ماي 1945، قلمة، ص70-71.

⁶ عبد الجبار ناجي حسين داخل البهادلي، بغداد في كتابات الرحالة العرب والاجانب من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر ميلادي، بيت الحكمة، بغداد، ج1، دط، 2003م، ص210.

وفي بلاد الشام، وخاصة في مدينة الباب الواقعة شمال شرق حلب، كان النشاط التجاري والصناعي بارزاً، و تصنع الصابون و يذكر أن الغرب اتخذوا الصابون صنعا و إسما¹، وفي دمشق كانت تقوم الصناعات ، كل في حي خاص وكل صانع يجعل أمام بيته مكانا يعرض فيه مصنوعاته ، مع أن البضائع تترك في الشوارع دون حراسة فإن قلما تسرق السلع²، اشتهرت دمشق بمهارة صنّاعها في شتى الحرف، من البناء وصناعة الأسلحة والمجوهرات إلى مختلف الفنون اليدوية. وكان اسم "دامسكو" يتردد في أوروبا كرمز للجودة والإتقان، خاصة في المنسوجات الحريرية، والصوفية، والقطنية، والكتانية التي عُرفت بها المدينة³، يقول الإدريسي عن صناعات دمشق: "ومدينة دمشق جامعة لصنوف من المحاسن وضروب من الصناعات وأنواع من الثياب الحرير كالخز والديباج النفيس الثمين العجيب الصنعة العديم المثال الذي يحمل منها إلى كل بلد ويتجهز منها به إلى كل الآفاق والأمصار المصابقة لها والمتباعدة منها ... وقد احتوت طرزة على أفانين من أعمال الثياب النفيسة ومحاسن جمّة فلا يعادلها جنس ولا يقاومها مثال"⁴.

ثالثا: التجارة

ساهم تنوع المنتجات الزراعية ، إلى جانب ما كان يُنتجه الحرفيون من سلع وصناعات ذات طابع فريد، في تحوّل أسواق المدن إلى مراكز نشطة ومكتظة بالحركة والبيع والشراء. وقد انعكس هذا التنوع والغنى في الموارد على حيوية الأسواق ، مما جعلها سوقاً محورية رئيسية.

1. مصر

احتلت مصر موقعاً استراتيجياً في خارطة التجارة المشرقية، مستفيدة من موقعها الجغرافي كنقطة التقاء بين الشرق والغرب، وتنوعت مظاهر النشاط التجاري فيها بين الأسواق الداخلية والموانئ المطلة على البحرين والنيل. من أهم المراكز التجارية الاسكندرية حيث تتمتع مدينة الإسكندرية بموقع استراتيجي على ساحل البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)، الأمر الذي أكسبها أهمية كبرى كمركز تجاري حيوي في مصر. وقد أهلها هذا الموقع المتميز لتكون نقطة وصل محورية للقوافل التجارية المغاربية المتجهة نحو بلاد المشرق، حيث مثلت طريقاً تجارياً رئيسياً يربط بين الغرب والشرق. وفي هذا السياق، وصفها الحميري بأنها قاعدة البلاد الإفريقية ومرفأ لسفن الإسكندرية والشام وصقلية والأندلس، ما يبرز مكانتها المحورية ضمن شبكة الموانئ المتوسطية.⁵

وقد عاين ابن جبير هذا الدور الحيوي عند مروره بها، فوصفها بأنها مدينة واسعة، ذات مبانٍ شاهقة

¹ هدى بريقل ، صورة حواضر المشرق من خلال كتابات الرحالة 7-8/13-14م الحجاز-مصر-الشام انموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في التاريخ، إشراف خلفات مفتاح، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018، ص60.

² محمد ياسين الحموي، دمشق في العهد الايوبي، مكتب النشر العربي، دمشق، دط، 1946، ص44.

³ إسماعيل قلاش ، "الاقتصاد في عهد صلاح الدين الايوبي"، مجلة أكاديمية العلوم الاجتماعية، مج4، ع2، 2021-11، ص 189-208.

⁴ الإدريسي، نزهة المشتاق في اخراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مج1، دط، 2002م، ص369.

⁵ غربي، المرجع السابق، ص246.

وأسواق مزدهرة، ونشاطها التجاري الليلي مما يعكس نشاطها الاقتصادي وكثافة الحركة التجارية فيها، ويؤكد القلقشندي هذا التصور بقوله: "فإليها كانت تھوى ركائب التجار في البحر، ومنها كانت تُصدّر الأقمشة إلى جميع أقطار الأرض، فهي ميناء رئيسي لبلاد المغرب والأندلس وبلاد الفرنجة وبلاد الروم والشام".¹ كما امتدحها الإدريسي بوصفها مدينة عظيمة الحصون، غزيرة الأشجار، سامقة العمارة، رائجة التجارة، تعكس مدى ازدهارها العمراني والاقتصادي.² ومما زاد من ثقلها التجاري هو اتصالها بالنيل عبر خليجها، مما جعلها تتمتع بميزة نهرية وبحرية في آن واحد، وهو ما عزّز من دورها كمركز تبادل اقتصادي عالمي، فكان التاجر الأندلسي عبد الله بن عبد الجبار الشاطبي (ت 614هـ/1218م) ينتقل بين مناطق مصر ينقل الكارم والنسيج وغير ذلك من البضائع وكان أحد أهم تجار الاسكندرية من المغاربة، ولكن ابن جبير انتقد إجراءات التفتيش والرسوم المفروضة على التجار.³

وصف الإدريسي الفسطاط بأنها مدينة ذات أسواق نافقة،⁴ وأشار ابن حوقل إلى أسواقها العظام ومتاجرها الفخمة.⁵ وقد تميزت بسوق القناديل الذي وصفه ناصر خسرو بأنه فريد ويضم سلعا من مختلف أنحاء العالم. كما عرفت الفسطاط أسواقا متخصصة مثل خان الوزير لتجارة الحرير.⁶ تعددت أسواق القاهرة وتركزت حول الأبواب الرئيسية، مثل سوق الباب المفتوح وسوق المرحلين وسوق الشماعين، وقد بلغ عدد الدكاكين فيها عشرين ألفا تقريبا. وقد ازدهرت التجارة في مصر في عصر الدولة الأيوبية، وأصبحت محطة للكثير من الناس، وقد ذكر ابن سعيد ازدهار التجارة الخارجية في القاهرة. وقد ازدهرت التجارة في مدن الصعيد مثل دمياط التي كانت نقطة استقبال كبيرة للتجار من مختلف البلدان، ولذلك تم بناء العديد من الفنادق لاستقبالهم. بالإضافة إلى دورها كميناء تجاري، كانت دمياط مركزا للتجارة النهرية والبحرية، إذ كانت تستخدم كطريق لنقل البضائع من نهر النيل إلى البحر الأبيض المتوسط، فعنها يقول ابن شاهين الظاهري "ثغر يقع على جانب نهر النيل بالقرب من بحر المحيط".⁷ وهو من أعظم الموانئ يرتد إليه كثير من المراكب.

¹ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص408.

² الإدريسي، المصدر السابق، ص319.

³ ابن جبير، مصدر سابق، ص13.

⁴ الإدريسي، مصدر السابق، ص323.

⁵ ابن حوقل (367هـ)، صورة الارض، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1928، ص146.

⁶ ناصر خسرو، سفرنامه، ترجمي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1993، ص98.

⁷ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس، ط1، 1894، ص25.

ازدهرت كذلك الأسواق في مدن مثل تنيس ومنوف وطنطا وسخا والفيوم ودمياط. أما قوص¹ فقد ذكر ابن جبير أنها مدينة حافلة الأسواق وملتقى للتجار والحجاج من مختلف المناطق، وأهم مركز تجاري نهري في مصر، أشار كذلك إلى أسواق منفوط وأسواق الجزيرة العظيمة.²

تعتبر عيذاب من الموانئ الحيوية التي أدت دوراً محورياً في التبادل التجاري والحركة الدينية في العصور الإسلامية. الذي يقع على الساحل الغربي للبحر الأحمر مقابل ميناء جدة، كان الميناء نقطة انطلاق أساسية للقوافل التجارية القادمة من مناطق مثل الهند واليمن، حيث كانت البضائع الثمينة مثل التوابل والعاج تُنقل إليه بحراً، ثم تُنقل عبر طرق برية إلى مصر، ومنها إلى أوروبا والمغرب.³ كما كان يشكل نقطة عبور رئيسية لحجاج مصر والمغرب في طريقهم إلى مكة عبر البحر الأحمر، مما جعله مرفأً مفضلاً في حركة الحج، وقد شهد الميناء تدفقاً هائلاً للسلع، وعلى رأسها التوابل مثل الفلفل، التي كانت تصل بكميات ضخمة لدرجة أن الأحمال كانت تُترك دون حراسة حتى يأتي أصحابها لاستلامها.⁴

لقد ساهم موقع عيذاب الاستراتيجي في تسهيل التجارة بين المشرق وبلاد المغرب، حيث كانت السلع تُنقل عبر الصحراء إلى قوص، ومن ثم عبر نهر النيل إلى مراكز مصر التجارية الكبرى، كما أن عمق الميناء وأمانه جعلاه مكاناً مثالياً لسفن التجارة، مما ساهم في ربط الشرق بالمغرب وتسهيل التبادل التجاري بين مختلف أقاليم العالم الإسلامي.

¹ قوص هي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر بينها وبين القسوطا اثنا عشر يوماً وهي محط التجار القادمين من عدن وهي مدينة شديدة الحر لقرىها من البلاد الجنوبية وهي شرقي النيل ؛ ياقوت الحموي(ت626هـ)، معجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر، مج7، ط1، 1906، ص183.

² ابن جبير، مصدر سابق، ص35-40.

³ إيناس عماد عبد المنعم، "الموانئ التجارية المطلة على ساحل البحر الأحمر في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة من القرن الأول حتى القرن الثامن الهجريين(الموانئ التجارية الحجازية واليمينية المصرية نموذجا)"، مجلة الجامعة العراقية، ع54، ج1، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، ص225-239.

⁴ ابن جبير، المصدر السابق، ص43.

2. الحجاز

عرفت منطقة الحجاز الاعتماد على التجارة منذ القدم، حيث نشطت التبادلات التجارية داخل مكة وخارجها. وقد أولت قبيلة قريش اهتمامًا بالغًا بالتجارة، تجسد ذلك في رحلتين موسميتين: رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام. ونتيجة لهذا الاهتمام، ظهرت العديد من المراكز التجارية والأسواق في الحجاز، منها جدة والحوراء والمدينة المنورة ومكة المكرمة والدهناء وتبوك، والتي اعتبرت مدناً تجارية متنوعة المبيعات والأوقات. وقد وثق ابن جبير هذه المدن التجارية التي اعتمد أغلبها على النشاط التجاري.

كانت جدة تستقبل السفن التجارية من مختلف البلاد، وتعد مستودعاً للسلع القادمة من اليمن ومصر والهند، وقد رصد ابن جبير أثر هذا الازدهار الاقتصادي على مستوى معيشة السكان وعمران مساكنهم، وكونها محطة لتحصيل الرسوم الجمركية.¹

من جانب آخر، احتضنت مكة المكرمة أسواقاً داخلية متنوعة بين الصفا والمروة للأطعمة والعطارين والعبيد، بالإضافة إلى أسواق موسمية نشطت خلال الحج، حيث تبادل التجار مختلف أنواع السلع. ذكر ابن جبير استيرادها للمواد المستوردة من الهند كالمسك والكافور والعنبر والعقاقير الهندية، ومن اليمن الزبيب الأسود والأحمر واللوز وقصب السكر والعسل والحنطة واللوبياء حيث نجده يقول: "ولو لم يكن لها من المتاجر إلا أوان الموسم ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب، فيباع فيها في يوم واحد، فضلاً عما يتبعه، من الذخائر النفيسة كالجواهر، والياقوت، وسائر الأحجار ومن أنواع الطيب: كالمسك والكافور، والعنبر والعود والعقاقير الهندية إلى غير ذلك من جلب الهند والحبشة، إلى الأمتعة العراقية واليمنية، إلى غير ذلك من السلع الخرسانية، والبضائع المغربية، إلى ما لا ينحصر ولا ينضب، ما لو فرق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق النافقة ولعم جميعها بالمنفعة التجارية، كل ذلك في ثمانية أيام بعد الموسم، حاشا ما يطرأ بها مع طول الأيام من اليمن وسواها. فما على الأرض سلعة من السلع ولا ذخيرة من الذخائر إلا وهي موجودة فيها مدة الموسم فهذه بركة لا خفاء فيها بها وآية من آياتها التي خصها الله بها".²

وكانت تشهد تجمعاً تجارياً كبيراً خلال الموسم. وقد لفت ابن جبير إلى استخدام المقايضة بالخرق والعباءات مع الأعراب بجانب استخدام الدينار والدرهم. وقد وصفها بأن الطريق إليها ملتقى الصادر والوارد وموسم اجتماع الحجاج، وأنها أكثر البلاد نعمًا وفواكه وثمرات تأتي إليها من كل مكان.³

¹ عائشة عبد الله عمر باقاسي، بلاد الحجاز في العصر الايوبي 567-648هـ/1171-1250م، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف حسين محمد ربيع، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، 1980، ص 88.

² ابن جبير، المصدر السابق، ص 97.

³ مصدر نفسه، ص 110.

3. العراق

شهد العراق نشاطاً تجارياً ملحوظاً، خاصة في بغداد والموصل. حيث وصف بغداد بأنها ذات أسواق حافلة وعظيمة الترتيب، وذكر أن بها أربع محلات أكبر منها المحلات العتابية التي تصنع بها الثياب ومدخلات حربية وغيرها، مما يدل على انتشار صناعة الثياب والصناعة الحربية في بغداد.¹ وقد ساعدت الجسور المقامة على نهر دجلة في تحسين شبكات النقل والتوزيع، مما عزز من مركزية بغداد كعقدة تجارية كبرى. كما ساهم تحوّل الطريق التجاري البحري تدريجياً من البحر الأحمر إلى الخليج العربي في إعادة توجيه السفن التجارية نحو البصرة ومنها إلى بغداد، الأمر الذي زاد من أهمية الطريق البحري الجديد، وسهّل التواصل مع الهند التي كانت تصدر إلى بغداد سلعاً ثمينة مثل العاج، البهارات، والحرير، وهي من المواد الكمالية التي وجدت لها سوقاً رائجة في المدينة، خاصة في ظل ازدهار الطبقات الاجتماعية الراقية.

وهكذا برزت بغداد كعاصمة اقتصادية عالمية، تجمع بين الإنتاج المحلي الغزير، والبنية التحتية المتطورة، والانفتاح على التجارة البحرية والبرية، مما عزز من مكانتها في شبكة التجارة الدولية.²

إمتازت أسواق الموصل بالإمتداد الطولي المتوازي لوحداث متماثلة من الدكاكين المتلاصقة على جانبي طرق وممرات ضيقة تعلوها سقوف مقببة ذات فتحات جانبية للتهوية والإضاءة وقد بنيت الخانات لاستقبال التجار ومن يقصدون البلد فيقيمون فيها، كما كانت مخازن لبضائع أصحاب الدكاكين في الأسواق ومأوى ومرابط مؤقتة لحيوانات التجار اللذين يتعاونون بتلك الأسواق وكما تجمعت في الموصل كل المرافق التجارية، انجذب إليها التجار من مختلف بقاع الأرض حتى أضحت من أهم المراكز التجارية الكبيرة في الشرق يردّها مختلف البضاعة والتجارة تصدر منها إلى مختلف الأقطار . وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب وهذا ما تعرض إليه ابن جبير في رحلته إلى الموصل حيث أشار إلى أسواقها وقياسارية للتجار والخانات التي كانت متواجدة في رضى المدينة.³

بالنسبة لـدنيصر، كانت قرية يجتمع الناس في صحرائها كل يوم أحد للبيع والشراء، ثم ما لبثت أن إنتشر فيها العمران، كنتيجة لمتطلبات التجارة، فأنشئت فيها الخانات والفنادق والحمامات والأسواق المختلفة، وذلك لتسيير العمليات التجارية، فأصبحت بعدها دنيصر مركز تجارياً كبيراً تجلب إليه البضائع المختلفة من سائر البلاد، وقد تحدث ابن حوقل عنها فقال يجلب إليها الجهاز من سائر البلدان وقد استوطنها الناس من كل فج، وكثر بها الارتفاع والضمانات، فقد كان يوم الأحد يقام السوق بمدينة دنيصر ويحضره التجار ببضاعتهم من مختلف البلدان، وقد وصف ابن جبير أسواق دنيصر من خلال رحلته قائل بدنيصر ،أن بها سوق حافلة يجتمع لها أهل هذه

¹ ابن جبير، مصدر نفسه، ص 201.

² مرايسية، المرجع السابق، ص 64.

³ هدى ياسين الدباغ، "الموصل من خلال كتب بعض الرحالة المغاربة والأندلسيين خلال فترة القرنين 6-8 الهجريين"، إضاءات موصلية، ع 82، أبريل 2014م، ص 17-1.

الجهات المجاورة لها والقرى المتصلة بها، لأن الطريق كلها يمينا وشمالا قرى متصلة، وخانات مشيدة، ويسمون هذا السوق المجتمع إليها من الجهات "البازار" وأيام كل سوق معلومة.¹

أما بالنسبة حران اشتهرت هذه المدينة بحسن عمارتها وأسواقها، كما وصفها ابن جبير من خلال رحلته مسقفه كلها بالخشب، وقد بني عند كل ملتقى أربع سكك أسواق، منها قبة عظيمة مرفوعة مصنوعة من الجص هي كالمفرق لتلك السكك، ويتصل بهذه الأسواق جامعها وحوانيثها، كأنها الخانات والمخازن اتساعا وكبرا، وأعلى أسواقها مسقفة.²

كذلك نصيبين تقع على طرق القوافل من الموصل إلى الشام، وبينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل مسافة ستة أيام وبينها وبين دنيصر يومان، ازدهرت فيها التجارة وتعددت فيها الأسواق والخانات، تعد محطة تجارية مهمة ويقول عنها ابن جبير في رحلته بها في خان خارجها، وبتنا بها ورحلنا في قافلة كبيرة من البغال والحمير وهذا إن دل على شيء فيدل على أن القافلة كانت مليئة بالبضائع.³

4. الشام

وصفت دمشق بأنها مستودع كبير لمنتجات الشرق والغرب بمعنى أنها كانت مركز تخزين وتوزيع العالم الشرقي والغربي والمحلة الأولى للبضائع القادمة من تلك البلاد، وتمتعت مصر بالمركز الأول في التعامل التجاري مع دمشق إذ استوردت ما تنتجه دمشق من الزيتون والعطور وماء الورد الذي كان يعرف في مصر بماء الورد الشرقي أو الشامي لجودة صناعته،⁴ أشاد ابن جبير بأسواق دمشق الداخلية المنظمة والجميلة، خاصة قيسرياتها وسوقها الكبير. وقد أشار إلى التواصل التجاري المستمر بين دمشق ومصر عبر بلاد الفرنجة، وبين دمشق وعكا، مع وجود ضرائب متبادلة بين التجار المسلمين والنصارى، مما يدل على استمرار النشاط التجاري رغم الصراعات السياسية. وقد وصف الإدريسي دمشق بأنها ذات صناعات متنوعة وملابس فاخرة. وقد وصفها ناصر خسرو بأنها مدينة عامرة وكثيرة الخيرات ومركزاً ترد إليه وتنطلق منه تجارات الشرق والغرب.⁵

وصف ابن جبير سوق بزاعة بأنه يجمع بين المرافق السفيرية والتجارة الحضرية، وأثنى على أسواق حلب الكبيرة والمنظمة التي تعرض مختلف الصناعات. وقد ذكر أن قطن حلب كان يدخل في تجارة البحر المتوسط ويصل إلى سبتة. كما أشار إلى دور مدينة الباب في تجارة الأقمشة والعطور، ملاحظاً تزايد أنواع العطاراة في بلاد الشام في ذلك العصر.⁶

¹ ابن جبير، المصدر السابق، ص 216.

² مصدر نفسه، ص 221.

³ مصدر نفسه، ص 215.

⁴ خضر عبد السرحان، دمشق من خلال كتب الرحلات في العصرين الايوبي والمملوكي (السادس والثامن هـ/ الثاني عشر والرابع عشر م)، د دن، عمان دط، ص 172-173.

⁵ قلاش، المرجع السابق، ص 189-208.

⁶ ابن جبير، المصدر السابق، ص 224-226.

أشار ابن جبير الى وجود حصن تبين الذي كان يشهد تحصيل المكوس على القوافل، خاصة من المغاربة.¹

أما عكا فتمثل أحد أبرز الموانئ في تاريخ الحوض الشرقي للبحر المتوسط، لما حظيت به من موقع استراتيجي ومزايا طبيعية أهلتها لتكون مركزاً تجارياً محورياً خلال العصور الوسطى، فقد تميز الميناء بامتداده على خط ساحلي مستقيم غير عميق، وبحماية طبيعية من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية، إضافة إلى احتوائه على مخابئ طبيعي يقي من العواصف، مما وفر بيئة مثالية لرسو السفن بأمان وراحة. كما يقع الميناء عند نهاية أحد أهم طرق التجارة البرية التي امتدت من آسيا الوسطى مروراً ببلاد الشام وصولاً إلى سواحل المتوسط، وهو ما جعله محطة نهائية للطرق التجارية الكبرى ومركزاً لتوزيع البضائع نحو مختلف الاتجاهات.²

وقد أشار الرحالة ابن جبير إلى أن مدينة عكا كانت قاعدة مدن الإفرنج بالشام وملتقى لتجار المسلمين والنصارى من مختلف الآفاق، كما وصفها ابن بطوطة بأنها تشبه القسطنطينية في عظمة مينائها وكثافة النشاط التجاري فيه، حيث كان مرسى واسعاً وآمناً تأوي إليه أعداد كبيرة من السفن المخصصة لنقل البضائع والحجاج.³ وقد ساهم هذا الموقع المتميز في جعل عكا نقطة وصل بين المشرق والأندلس، كما أدى إلى انتعاش التجارة الداخلية بين مدن الشام.

وعلى الرغم من التوترات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة في فترة الحروب الصليبية، فإن النشاط التجاري لم يتوقف، بل استمرت القوافل بالتنقل بين مصر ودمشق مروراً ببلاد الإفرنج، كما ظل تبادل السلع بين تجار المسلمين والنصارى قائماً في مناخ اتسم بالاتفاق والتوازن، حيث كانت الضرائب والضمانات الأمنية تُفرض على كلا الجانبين بما يحفظ الحقوق ويُعزز الاستقرار الاقتصادي.⁴

تعكس مشاهدات ابن جبير في رحلته حيوية التجارة في المشرق الإسلامي، وكيف ساهمت المراكز التجارية الهامة، والموانئ النشطة، والمؤسسات التجارية المتطورة في تسهيل حركة السلع وتدفعها. وأهميتها كشریان للتواصل الاقتصادي بين مختلف المناطق، بما في ذلك بلدان الغرب الاسلامي.

¹ مصدر نفسه، ص274.

² فاطمة زهراء محمد السعيد، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام خلال القرنين 6هـ/12 و13م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، إشراف كمال بن مارس، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 8ماي1945، قلمة، 2015-2016، ص37.

³ ابن جبير، مصدر السابق، ص276.

⁴ محمد السعيد، مرجع نفسه، ص38.

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي

أولاً: مظاهر التواصل الاجتماعي بين المغاربة والمشاركة

اهتم ابن جبير في رحلته بنقل العادات التي نالت إعجابه وتجلّى ذلك في حديثه عن مدينة حران وأهلها، حيث يقول: "وبهذه البلدة كثير من أهل الخير وأهلها هينون معتدلون، محبوبون للغرباء، مؤثرون للفقراء، فما يحتاج الفقراء الصعاليك معهم زاد، لهم في ذلك مقاصد في الكرم مأثورة". هذا القول يدل على الصورة المشرقة التي استحسناها ابن جبير عن أهل هذه البلدة وما يتسمون به من كرم الضيافة وحسن المعاملة، وطلاقة الوجه وبخاصة استقبال الغرباء.¹

ومما أعجب به كذلك مدينة نينوى أشاد بالخصال النبيلة والمعاملة اللطيفة التي يتمتع بها أهل هذه البلد، في معاملة الغرباء وقوله: "وأهل هذه البلدة على طريقة حسنة، يستعملون أعمال البر فلا تلقى منهم إلا ذا وجه طلق وكلمة لينة، ولهم كرامة للغرباء وإقبال عليهم، وعندهم اعتدال في جميع المعاملات".²

قدم المشاركة للمغاربة مساعدات وأحسنوا استقبالهم، وكان للحجاج المغاربة مكانة جليلة، كون المشاركة قدموا لهم اهتمام بالغاً خاصة التجار، فيقام لهم استقبال مهيب، فمن عادات أهل دمشق يخرجون لتلقي الحجاج مع من أضاف لهم من المغاربة عند صدورهم إلى دمشق، ومن عاداتهم الاجتماعية إكرامهم البالغ للغرباء وخاصة المغاربة، يقول ابن جبير: "ولم يكن بهذه الجهات المشرقية كلها إلا مبادرة أهلها لإكرام الغرباء وإيثار الفقراء، ويمدح ابن جبير إكرام حكام دمشق عامة تجاه مغاربة تأثر بالإكرام الذي قدمه أهل دمشق لأهل المغرب، فدعا جميع المغاربة إلى الرحيل إلى دمشق، فقال: "فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد...".³

لاحظ ابن جبير تمسك الدمشقيين بالمغاربة من بين الغرباء لشهرتهم بالأمانة وصدق في الأعمال الموكلة لهم، وإكرامهم حتى في أسرى المغاربة الذين هم بيد الفرنج أصابهم الكرم، ومن جميل صنع الله تعالى بالأسرى المغاربة بهذه البلاد الشامية، أن كل من خرج من مال وصية من المسلمين إنما يعينها في افتداء المغاربة خاصة لبعدهم على بلادهم.

اهتم كذلك نور الدين زنكي بأمر المغاربة القادمين إلى المشرق حيث يروي ابن جبير عنه أنه اهتم بفك الأسرى منهم. "وكان نور الدين نذر في مرضه أصابته تفريق اثني عشر ألف دينار في فدى أسرى من المغاربة"، ومن أعمال أخرى هي أن صلاح الدين قد عين لأبناء السبيل من المغاربة خبزتين لكل إنسان في كل يوم بالغاً ما بلغوا، ونصب لتفريق ذلك كل يوم إنسان أمين فقد ينتهي هذا إلى ألفي خبزة أو أكثر.⁴

¹ ابن جبير، المصدر السابق، ص 220.

² مصدر نفسه، ص 112.

³ غربي رضوان، فاطمة دخية، "الأبعاد الدينية والاجتماعية في رحلة ابن جبير الأندلسي"، مجلة القراءات، مج 13، ع 1، 2021م، ص 81-92.

⁴ حيدر مجيد حسين، علي منفي شراد، "دمشق في كتب الرحالة العرب، مجلة الكلية الإسلامية، الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف، مج 1، ع 19، 2012، ص 521-544.

حضبي المغاربة بمكانة في مصر حيث كان أهل مصر يوكلون مهمة اصطحاب أبنائهم الى المساجد ودور العلم وهي من المهن التي مارسها المغاربة في مصر وكذلك كان المغاربة يؤدون وظيفة التأديب لصبيان ووانقسموا على حسب فمئهم:

- مؤدبوا الخاصة وهم مؤدبوا صبيان الأعيان والاشراف وأرباب الوظائف يلتزمون مع صبيانهم تعليمهم وتربيتهم مقابل أجر شهري
- مؤدبون المغاربة في الحجاز اهتم المغاربة بوظيفة تأديب الصبيان في الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان الحضور المغربي واضحاً جلياً، حيث كان أسماء لرجال من أهل المغرب قضوا حياتهم في تعليم وتربية أولاد المسلمين، تخرج على أيديهم العلماء والصلحاء وأرباب الوظائف الشريفة.
- المؤدبون بالمكاتب هم من اتخذوا وظيفة تأديب الصبيان حرفة يقتاتون بها، حيث يتعلم فيها الصبيان مقابل أجر معلوم .
- المؤدبون بالمسجد الحرام وهي عبارة عن حلقات علمية خاصة لبعض يتعلمون فيها القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية مع بعض مهارات أساسية كالخط والاملاء ونحو
- مؤدبوا الأيتام هم الذين يعلمون اليتامى القرآن الكريم، منهم من يقوم بذلك حسب إبتغاء الأجر والثواب من الله تعالى، ومنهم من يجرى عليه الأمراء والملوك جرايات مالية مقابل تعليم هؤلاء الأيتام، اضافة إلى وجود أوقاف كثيرة بالحرمين من أجل مساعدة الأيتام والنفقة على المؤدبين.¹
- لقد كان لمقام المغاربة في بلاد الحجاز أثرٌ بالغ في ترسيخ قيم التدبّين والعمل الصالح، إذ تميز حضورهم هناك بالخلق الرفيع والسلوك المهذب، مما جعلهم محل تقدير واحتضان من أهل البقاع المقدسة. وقد شكلت إقامتهم في الحرمين فضاءً للتبادل والتأثير المتبادل، حيث تفاعلوا مع محيطهم تدبّيناً ومعاشاً، وتركوا بصمتهم في النسيج الاجتماعي والديني لتلك الربوع، حتى أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من العناصر الفاعلة والمساهمة في المجتمع.

¹ حسين شنيعة، محمد بن عزوزي، "المؤدبون المغاربة في بلاد الحجاز في العصر الوسيط"، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مج7، ع2، 2023، صص373-391.

ثانياً: دور المرافق الاجتماعية في تعزيز التواصل

شهد القرن السادس ازدهار واضح في إنشاء المرافق نتيجة لانتشار الرحلات، وأدت هذه المرافق دوراً أساسياً في تسهيل التواصل بين أبناء المشرق والمغرب، حيث أنشئت ربط وخانات لاستقبال المسافرين والحجاج؛ ومن بين هذه المرافق أذكر:

1. المساجد:

1.1 جامع ابن طولون

كان جامع ابن طولون يحظى لدى المغاربة بمكانة خاصة لكونه كان مخصصاً منذ العصر الأيوبي لإيواء وإقامة الفقراء من الحجاج المغاربة والمتصوفة، منهم الذين لا يقدرّون على كراء منازل للسكن، وقد خصص السلطان صلاح الدين للمغاربة أرزاق تجرى لهم في كل شهر يقول ابن جبير: "هو من جوامع العتيقة الأنيقة الصفة الواسعة البنيان جعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة، يسكنونه ويحلّقون فيه، وأجرى عليهم أرزاق في كل شهر"، إن جامع ابن طولون ظل مستمراً في تقديم أنشطته للغرباء المغاربة وطلبة العلم.¹

2.1 جامع الاموي بدمشق

كان يشمل الجامع العلماء والمتصوفة وغيرهم من الناس عامة وبالأخصّ الغرباء من لا مأوى لهم، وكثير تواجدهم في الجانب الشرقي منه حيث يوجد لهم وقف لهذا الجامع المكرم مرافق للغرباء كثيرة وواسعة ولأيتام محضرة كبيرة ولها وقف يأخذ منه المعلم وينفق منه على الصبيان.²

2. الزوايا:

عين للمغاربة الغرباء زاوية المالكية بدمشق وأوقاف كثيرة وهي زاوية لتدريس الجانب الغربي يجتمع فيها الطلبة المغاربة، وبالجامع المكرم عدة زوايا يتخذها الطلبة المغاربة للنسخ والدرس وانفراد عند ازدحام الناس وهي من جملة المرافق.

زاوية المغاربة بدمشق أنشأها الشيخ عبد الصمد الدكالي وأوقفها على فقراء المغاربة أواخر القرن السادس هجري، لنفقة على معاشتهم وحاجياتهم وعلى طلب العلم.³

¹ محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب، الرباط، ط2، 1977م، ص 96.

² باسم يوسف أحمد أبو لحية، الجامع الأموي في دمشق في العصر المملوكي الأول 648-784 هجري 1250-1382 ميلادي، دراسة تاريخية حضارية، إشراف محمد عثمان، كلية دراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2019، ص 79.

³ ناهد قرني عبد الحميد، "مشيخة المغاربة في مصر وبلاد الشام خلال عصري الأيوبيين والمماليك (589هـ-923هـ/1193م-1517م)"، مجلة كلية دار العلوم، ع53، جانفي 2025م، ص 751-794.

3. المدارس:

ذكر ابن جبیر مدارس مصر بقوله يوجد بها مدارس ومحارس موضوعة لأهل الطب وذكر وجود مسكن يأوي الرحالة ومن المدارس التي بها نجد مدرسة الصالحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي سنة 572هـ/1176م قد وصفها السيوطي بأنها تاج المدارس وهي أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق كذلك من مدارس مدرسة الشافعية التي أسست سنة 577هـ/1181م.¹

كانت ببلاد الشام العديد من المدارس الوقفية، فمن المدارس التي وقفت ببلاد الشام المدرسة النورية، أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في سنة 544هـ/1149م، اعتنت بالغرباء وتضم عدد من المغاربة بها إلى مظاهر التكريم وحسن المعاشرة.

4. الحمامات:

أما عن الحمامات فيجد في حاضرة دمشق حمامات وهو ما يقارب مئة حمام وفي أرياضها، وفيها نحو الأربعين دار للوضوء يجري الماء فيها كلها، وليس في هذه البلاد كلها بلدة أحسن منها للغريب. وفي مدينة دمشق تنوعت الأوقاف حيث أن لكل مشهد أوقاف معينة من بساتين وأرض بيضاء، وحتى أن البلد تعاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيها ومن بين هذه الأوقاف أذكر: وقف مخصص للأيتام والصبيان، يُصرف على رعاية شؤونهم وتعليمهم، كما كان هناك وقف لأحد سوارى المسجد الأموي يستفاد من ريعه في المذاكرة والمدارس، وجد أيضاً وقف من أجل افتكاك الأسرى يصرف بالذات على المغاربة، وكذلك لهم أوقاف لتسيير حالهم في دمشق؛ لم يغفل ابن جبیر على طلبة العلم إذ ذكر أنه وضع لهم وقف خاص يصرف على طالبي العلم، من مختلف الأقطار الإسلامية الذين يقصدون دمشق للدراسة، ومنه نرى أنه لكل مشهد ومزار وقف يصرف في السبيل.²

5. المارستان:

نرى في دمشق مارستانان قديم وحديث والحديث أحفلهم وأكبرهم وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر ديناراً. به نفقات للمرضى لهم كل ما يحتاجون إليه من أدوية وأغذية وغير ذلك. وهذا البيمارستان يدل على اهتمام السلطان برعيته فيقسمه ثلاث أقسام، قسم يضم المرضى الرجال، ومثله لمرضى النساء وآخرهم للمجانين.

¹ أئمن غربية، الصلات الثقافية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي 541-688هـ/1147-1270م، مذكره لنيل الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي، إشراف علي زيان، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2022-2023م، ص55.

² عيد السرحان، المرجع السابق، ص 234.

6. الرباطات:

أما الرباطات يسمونها الخوانق فكثيرة وهي برسم الصوفية أنشأت لإيواء المغاربة أنشأها الحكام وأوقفوا عليها أوقاف عظيمة¹.

لها دور كبير في حسن استقبال للغرباء المغاربة، توفر لهم كل الاحتياجات وكل صرف الراحة. لقد تعددت الأربطة في الحجاز التي حددت وظيفتها في إيواء المحتاجين الغرباء الوافدين إلى مكة والمدينة، ووفرت لهم كل ما يحتاجونه من مأكل وملبس ومشرب؛ ومن أشهر الأربطة: رباط ربيع وهو واقفة عن موكله الأفضل بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب تاريخ وقفه 594 هـ، وصف الرباط هو من أحسن الرباطات بمكة، داخله بئر عذب لتمامه بئر مكة، وسكانه صالحون، وأهل ديار الحجاز يعظمون هذا الرباط، أنه أوقف على الفقراء المسلمين والغرباء.²

ومن بين الأربطة التي يلتجأ إليها المغاربة في بلاد الحجاز هو: رباط المغاربة الذي كان يسمى برباط الموقف ورباط عثمان بن عفان، أنشأه قاضي الموقف بن عبظ الوهاب الإسكندري ت 624 هـ - 1227م، جعله خاص بالفقراء المتعبددين من المجاورين بمكة من المسلمين القادمين من بلاد المغرب.³

¹ صلاح الدين المنجد، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1963م، ص30، 31، 34.

² نور الهدى لعمارة، "الوقف الإسلامي في بلاد الحجاز والشام ودوره في استقطاب متصوفة المغرب خلال القرنين (6هـ و7هـ / 12م-13م)"، مجلة عصور، تصنيف ج، مج 23، ع1، جوان 2024م، ص 128-143.

³ مرجع نفسه.

الفصل الثالث

صور التواصل الحضاري

- المبحث الاول: الجانب الديني
- المبحث الثاني: الجانب العلمي
- المبحث الثالث: الجانب العمراني

الفصل الثالث: صور التواصل الحضاري

المبحث الأول: الجانب الديني

يعد البعد الديني أحد أبرز أوجه التواصل الحضاري بين المشرق وبلاد المغرب، حيث تجسدت الروابط الروحية من خلال الرحلة الحجازية وتقديس الأماكن والمشاهد الدينية في المشرق، وصولاً إلى رصده لتنوع الفرق والمذاهب الإسلامية، يمثل في جوهره تجسيداً حياً لأحد أهم أوجه التواصل الديني

أولاً: الرحلة الحجازية

1. طريق الحج:

تستقطب الأشهر الحرم من كل عام هجري جموعاً غفيرة من الحجاج المسلمين من شتى أصقاع العالم الإسلامي قاصدين أم القرى مكة المكرمة لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام. وقد تميزت قوافل الحج المنطلقة من مصر والشام والعراق واليمن بكونها الأكثر انتظاماً وترتيباً على وجه العموم. جدير بالذكر أن الحجاج، وخاصة القادمين من الأندلس والمغرب، كانوا في أغلب الأحيان يفضلون سلوك الديار المقدسة في الحجاز عبر مصر، سواء براً أو بحراً، والطريق الذي اتبعه ابن جبير الطريق البحري وقطع المسافة بين القاهرة وجدة نحو شهرين ونصف.¹ ويشير المقرئزي إلى أن حجاج مصر والمغرب ظلوا لأكثر من قرنين من الزمان لا يتوجهون إلى مكة المكرمة إلا عبر صحراء عيذاب.²

يُعد ابن جبير من أوائل المعاصرين الأندلسيين الذين تبعوا مسالك الحج المصرية بدقة. ويوضح أن الطريق البري من مصر عبر أيلة إلى الأماكن المقدسة كان يُعتبر الأيسر والأفضل لقصر مسافته وسهولة عبوره.³ ومع ذلك، اضطر ابن جبير لسلوك طريق مرفأ عيذاب نتيجة لاشتغال المسلمين بحروبهم ضد المسلمين مما أدى إلى عزوف الحجاج عن المسلك الآخر.⁴

2. التحديات والصعوبات التي واجهت الحجاج

من ضمن الصعوبات التي واجهت الحجاج الاعتداءات المتكررة من قبل قطاع الطرق فقد كانت هذه العصابات المنتشرة على طول طرق الحج تشكل تهديداً دائماً لأمن الحجاج وممتلكاتهم ويذكر في ذلك العبدري ما سمعه عن ما وقع للحجاج المغاربة حيث يقول: "وقعت به في بعض الاعوام في الحجاج مقتلة عظيمة قتلهم العرب وانتهبوهم وكان الحجاج المغاربة والركب المصري قد تخلف في ذلك العام فتجاسر المغاربة على النفوذ فاتفق لهم ما اتفق".⁵

¹ نواف عبد العزيز الحجمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن هجري، الأهلية، بيروت، ط 1، 2008، ص 494.

² المقرئزي (ت 845هـ)، الخطط المقرئزية، تح. محمد زينهم ومديحة الشراقوي، مكتبة مدبولي، ج 1، ط 1، 1998، ص 566.

³ ابن جبير، المصدر السابق، ص 50.

⁴ الحجمة، مرجع سابق، ص 495.

⁵ مرجع نفسه، ص 525.

لم تقتصر التحديات التي واجهت قوافل الحج على اعتداءات الأعراب، بل تجاوزتها لتشمل ممارسات أمراء مكة الذين استغلوا موسم الحج لابتزاز الحجاج طمعًا في أموالهم، وهو ما كان يُهدد باندلاع اشتباكات بين الأمراء في ما بينهم .

شهدت سنة 571هـ/1175م مثالا بارزا على هذا التوتر، حيث نشب قتال بين أمير الحج العراقي طاشتكين ومكش أمير مكة على خلفية قيام الأخير ببناء حصن على جبل أبي قبيس. وقد اعتبر الخليفة المستضيء هذا العمل تحديًا لسلطته، مما دفعه إلى إصدار قرار بعزله وهدم الحصن. وردًا على ذلك، قام مكش بحشد ما استطاع من الأشراف والأعراب استعدادًا للمواجهة، مما أدى إلى تضائل أعداد الحجاج من أهل مكة في ذلك العام.¹

في سنة 583هـ/1187م، شهدت منى فتنة بين حجاج العراق والشام. بدأت بخلاف حول إشارة الرحيل حيث أمير الحاج الشامي ابن المقدم أمر بضرب امانة الرحيل فضررها أصحابه ورفعوا علم صلاح الدين ، مما أثار حفيظة أمير الحاج العراقي طاكشتين، فأرسل طاكشتين إلى أمير الحاج الشامي ينهيه عن هذا التصرف، لكن الأخير أبى الامتنال لأمره ، فتطورت لاشتباكات دامية بين الطرفين، أسفرت عن قتلى ونهب لأموال الحجاج الشاميين، ومقتل أميرهم. سعى أمير الحاج العراقي لتحميل المسؤولية لابن مقدم الشامي، وقرئ محضر بذلك في الديوان. قضى الحجاج الشاميون بقية أيام الحج في وضع مزير.²

علاوة على ذلك، كان الحجاج يتجنبون رمي الجمرات في اليوم الثالث خوفًا من الأعراب الذين اشتهروا بشراستهم تجاههم، خاصة عند علمهم بضعف الحراسة المرافقة للركب العراقي المكلف من قبل الخليفة أو جنود أمير مكة. ويشير ابن جبير إلى لجوء الحاج إلى تقليص مدة إقامته في منى إلى يومين، حيث يرمي تسعًا وأربعين حصاة خوفًا من الأعراب الشعبيين، بينما كان العدد المعتاد سبعين حصاة في ظل استتباب الأمن في مكة.³

كما تجلّى غياب السلطة الرسمية في عدم تأمين المياه للحجاج في عرفات، حيث كان الأعراب الشعبيون يفرضون فدية مقابل جلبها. وقد اضطر الحجاج إلى الاستجابة لمطالبهم تفاديًا لحرارة الشمس. ويذكر ابن جبير مبادرة الوزير جمال الدين وزير صاحب الموصل بجلب الماء إلى عرفات عندما قام عرب بني شعبة بقطع المياه، حيث دفع مبلغًا كبيرًا مقابل عدم تعرضهم للحجاج، وهو ما أتاح للحجاج التمتع بنعمة الماء والأمان مؤقتًا، قبل أن يعود الأعراب إلى ممارساتهم بعد وفاة الوزير.⁴

ولم يسلم الحرم المكي نفسه من مظاهر الصراع، حيث يروي ابن جبير خبر مناوشات بين عبيد مكة والأتراك العراقيين في سوق منى، وصلت إلى حد اشهار السيوف والتراشق، إلا أنها سرعان ما خمدت وكأنها من الأمور الاعتيادية التي اعتاد عليها الحجاج في منى.⁵

¹ الفاسي المكي (ت 832هـ)، العقد الثمين في أخبار البلد الأمين ، تح فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج7، ط2، 1986، ص276.

² ابن فهد (ت 885هـ)، تحاف الوري في أخبار أم القرى، تح فهم محمد شلتوت، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1983، ص555-557.

³ ابن جبير، المصدر السابق، ص74.

⁴ الحجمة ، المرجع السابق، ص 527-528.

⁵ ابن جبير، المصدر السابق، ص129.

إضافة إلى ما سبق، لم يكن النهب بمستغرب على الحجاج أثناء أدائهم مناسك الحج في مكة المكرمة، مما يعكس حالة من عدم الاستقرار الأمني التي كانت تُعيق أداء الشعائر وتُهدد سلامة الحجاج.

3. مناسك الحج:

يُعد الحج شعيرة إسلامية سنوية تتمثل في زيارة مكة المكرمة لأداء مناسك محددة في فترة زمنية معلومة، تمتد من الثامن إلى الثاني عشر من شهر ذي الحجة في التقويم القمري الهجري. ويُعرف اليوم العاشر من هذا الشهر بـ "يوم النحر"، وإذا ما وافق يوم جمعة، يُطلق على الحج تسمية "الحج الأكبر"، مما يستقطب أعدادًا هائلة من الحجاج من مختلف بقاع العالم الإسلامي.¹

وفقًا للسنة النبوية، اعتاد الحجاج التجمع في مكة المكرمة ثم الصعود في اليوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية) إلى منى للمبيت بها استعدادًا للانطلاق منها إلى صعيد عرفة للوقوف به في اليوم التاسع. إلا أن ابن جبير يذكر أنه اضطر إلى التوجه مباشرة إلى عرفات خوفًا من اعتداءات الأعراب الشعبين، مما يُشير إلى التحديات الأمنية التي واجهت بعض الحجاج.²

يتبع المسار التقليدي للحجاج الانتقال من منى إلى وادي محسر، ثم التوجه منه إلى مزدلفة (المشعر الحرام) ومنها إلى عرفات في اليوم التاسع من ذي الحجة دون المرور بمكة. ويصف ابن جبير عرفات بأنه سهل فسيح مترامي الأطراف، تحيط به جبال عديدة، آخرها جبل الرحمة الذي يُعد مركزًا رئيسيًا لوقوف الحجاج. ويشير إلى وجود علمين كانا يُحددان حدود عرفات على بعد ميلين تقريبًا من جبل الرحمة، حيث تُعتبر الأرض الواقعة دونهما حرماً، وما وراءهما حلالاً. ويُورد إشارة إلى "بطن عرفة" القريب من العلمين، الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالارتفاع عنه. كما يلفت الانتباه إلى ممارسات بعض الجمالين عشية الوقفة الذين قد يستغلون موقع العلمين لاستدراج الحجاج بعيداً عن الموقف الصحيح، مما قد يُطيل حجهم. في المقابل، كان الحجاج المتيقظون لا ينفرون من الموقف حتى يتأكدوا من غروب الشمس.³

مع غروب الشمس، تبدأ النفرة من عرفة إلى مزدلفة، مسترشدين في ذلك بمذهب الإمام مالك رحمه الله، الذي يشترط لصحة الوقوف البقاء حتى حلول الليل ومغيب الشمس. ويلاحظ ابن جبير أن بعض الحجاج من أهل اليمن كانوا ينفرون قبل الغروب. ويصف ابن جبير مشهد النفرة من عرفة إلى مزدلفة بتفصيل بليغ، مشيرًا إلى إشارة الإمام المالكي وبدء حركة الحشود الهائلة التي تهر الأرض وتُجلجل الجبال، معبرًا عن هول الموقف وعظيم الرجاء في ثوابه. وكان الحجاج يصلون مزدلفة قبل العشاء، حيث يجمعون بين صلاتي المغرب والعشاء. ويصف المشعر الحرام بأنه منارة شامخة تبدو للناس كأن نجوم السماء قد نزلت إليها.⁴

¹ الحجة، مرجع سابق، ص 540.

² ابن جبير، مصدر سابق، ص 149.

³ مصدر نفسه، ص 150-151.

⁴ مصدر نفسه، ص 155.

في اليومين الثاني والثالث من أيام الإقامة بمنى، يقوم الحاج برمي الجمرات الثلاث (الصغرى والوسطى والعقبة) بسبع حصيات لكل جرة عند الزوال، مع التضرع والدعاء اقتداءً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم. وكانت السنة النبوية تقضي بالإقامة ثلاثة أيام بمنى بعد النحر لرمي سبعين حصاة، إلا أن ابن جبير يلاحظ أن الحاج كانوا يعودون مسرعين إلى مكة بعد يومين خوفًا من اعتداءات الأعراب الشعبين، مما يعكس استمرار التحديات الأمنية. بعد ذلك، يبدأ الحاج في العودة إلى بلدانهم، ويتوجه بعضهم لزيارة المدينة المنورة.¹

من خلال وصف ابن جبير الدقيق لمناسك الحج والتحديات التي واجهها الحاج، تتضح لنا صورة حية عن طبيعة هذه الرحلة المقدسة في تلك الفترة، وما اعترضها من صعوبات أمنية، مما يُلقي بظلاله على حركة التواصل والتنقل بين مختلف أرجاء العالم الإسلامي، بما في ذلك الأندلس.

ثانياً: المذهب المالكي

شكل المذهب المالكي بامتداده المغربي ونشأته المدنية إحدى أبرز صور التفاعل بين المغرب والمشرق في العصر الأيوبي، حيث برز حضور فعال لعلماء مغاربة داخل المشهد الديني السني.

وقد تجلّى التفاعل من خلال تولي عدد من فقهاء المغرب مناصب علمية معتبرة، مثل أبو حفص عمر بن عبد المجيد المبانشي (ت 581هـ/1185م)، وأبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله المكناسي (ت 592هـ/1195م) الذي تولى الإمامة المالكية في الحرم الشريف، وأبو جعفر أحمد بن علي الفنكي (ت 596هـ/1199م)، وأبو علي منصور بن حمزة المكناسي الذي كان حياً سنة 595هـ/1198م، واشتهر بإمامته للمالكية بالحرم أيضاً. هذا الحضور يعكس اندماجاً حقيقياً ومنهجياً للمغاربة في المؤسسات الدينية الأيوبية، خاصة بعد التحولات التي أحدثتها صلاح الدين الأيوبي، الذي انخرط بجدية في إعادة توطيد المذهب السني²، فشهدت القاهرة عودة قوية للمذهب السني بعد زوال الدولة الفاطمية الشيعية. فكان الخطباء في المساجد يدعون للصحابة رضي الله عنهم، في دلالة واضحة على الانقلاب الديني الذي حصل في البلاد، والانتقال من الحكم الشيعي الإسماعيلي إلى سيادة المذاهب السنية، خاصة الشافعي والمالكي.³

عمل صلاح الدين على إلغاء المكوس التي كان يفرضها أمراء مكة، والتي كانت تمثل مورداً مالياً يعزز استقلالية الشيعة، مما ساهم في إضعاف نفوذهم وتوسيع حضور أهل السنة.⁴

كما قام بتوسيع شبكة المدارس السنية وتخصيص الأوقاف لها، إلى جانب تعيين القضاة والمفتين وفق المذاهب السنية المعتمدة، وعلى رأسها المالكي. وقد كان لهذا المسار دور مباشر في تغيير نظرة فقهاء المغرب للحج،

¹ ابن جبير، المصدر نفسه، ص 156.

² طيب يرمضان، "الحضور المالكي لمغاربة في بلاد الحجاز على مستوى التصنيف الفقهي (خلال العصر الوسيط)"، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مج 07، ع 02، 2023، ص 161-176.

³ ابن جبير، مصدر سابق، ص 24.

⁴ ياسر أحمد نور، "المغاربة ودورهم في بعث المذهب المالكي بالمدينة النبوية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي _ 567-923هـ"، مجلة ذاكرة العرب، ع 8، مكتبة الاسكندرية، 2024، ص 57-73.

إذ كانوا قبل ذلك يفتون بإسقاط فريضته بسبب ما كان يتعرض له الحجاج من اعتداء وسلب، أما بعد هذه الإصلاحات، فقد أقبل فقهاء المالكية من المغرب على الحج والإقامة والمجاورة بالحرمين الشريفين، ومنهم أبو حفص العبدري (ت583هـ/1187م) الذي استقر بالمدينة المنورة.¹ كما انسجمت هذه السياسة مع التوجه العقدي لصالح الدين، الذي اعتمد العقيدة الأشعرية مذهباً رسمياً للدولة، في تطابق مع المدرسة المالكية المغربية التي وصفها التاج السبكي "بأن المالكية أخص الناس بالأشعري إذ لا نحفظ مالكيًا غير أشعري".²

وظهرت زوايا علمية للمالكية يرتادها طلاب مغاربة. نزل عدد من العلماء المغاربة إلى دمشق بعد قدومهم من مصر، ومنهم محمد بن محرز بن محمد (ت575هـ/1179م)، المعروف بلقب ركن الدين أو جمال الدين، حيث عمل خطيباً في مسجد ببلدة داريا قرب دمشق. ومن أبرز الفقهاء الذين استقروا في الشام أيضاً أبو الحسن علي بن محمد المعافري الأندلسي (ت605هـ/1208م)، الذي أقام في بيت المقدس وتولى الخطابة في مسجدها. لم يقتصر وجود هؤلاء العلماء على المدارس المالكية فقط، بل شاركوا أيضاً في أنشطة علمية داخل مدارس متنوعة، مثل المدرسة العادلية بدمشق، حيث كان فيها مؤذن مغربي يُدعى أبو الحسن علي المغربي المالقي (ت626هـ/1228م)، الذي أقام في دمشق ست سنوات، خالط خلالها العلماء وسمع منهم، حتى برع في علم القراءة، مما أهله ليشترك في قراءة التراويح في رمضان. وعندما فتح صلاح الدين الأيوبي مدينة دمشق، أمر بتجديد بناء مدرسة الكلاسة الملاصقة للجامع الأموي من جهة الشمال، وكان أول من صلى بها إماماً هو أبو جعفر الفنكي. مما يعكس ثقلاً علمياً وديمغرافياً واضحاً للجالية المغربية.³

أشار ابن جبير إلى احترام علماء المشرق لأهل المغرب ولعلمهم، وهو ما يعكس مكانة المدرسة الفقهية المالكية وانتشارها. كذلك فإن ابن جبير نفسه كان فقيهاً مالكيًا، وهذا ما يجعل ملاحظاته محملة برؤية مذهبية تعكس طبيعة التواصل بين المدرستين المالكية المغربية والمشرقية.

¹ أحمد نور، مرجع نفسه.

² تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح. محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، ج3، ط3، ص367.

³ أحمد نور، مرجع سابق

ثالثاً: زيارة المشاهد والاماكن المقدسة

ساهمت المشاهد والاماكن المقدسة في تعزيز الصلة الروحية بين المسلمين في مختلف الأقاليم، بما في ذلك بلاد المغرب، من خلال ما كانت تحمله من رمزية دينية. وفي هذا الإطار، سنستعرض بعضاً من أبرز المشاهد والاماكن المقدسة في المشرق التي كانت محط أنظار المغاربة، والتي حملت في طياتها دلالات تاريخية ودينية .

1. في مصر

تُعدّ مدينة القاهرة من أبرز الحواضر الإسلامية التي تحتوي على عدد كبير من "المشاهد"، وهي مواقع دينية تُنسب إلى آل البيت، أو الصحابة، أو الأولياء والعلماء الصالحين. وقد مثّلت هذه المشاهد مواقع ذات قداسة خاصة للمسلمين، يقصدونها للتبرك والدعاء، ما أضفى عليها طابعاً روحياً وثقافياً فريداً في وجدان المسلمين، سواء من سكان مصر أو من الوافدين إليها من شتى الأقطار.

في سياق وصف مقابر القاهرة، يورد تقي الدين المقرئ معلومات تفصيلية عن القرافة الكبرى والقرافة الصغرى، إذ يشير إلى أن القرافة الكبرى كانت تقع شرق المدينة، وقد تم تخصيصها لدفن المسلمين منذ الفتح الإسلامي لمصر وتأسيس مدينة الفسطاط. وقد امتدت القرافة الكبرى من بركة الحبش جنوباً إلى مصلى خولان شمالاً، ومن قناطر ابن طولون شرقاً إلى منطقة الرصد غرباً، وقد تميزت هذه المنطقة ببناؤها العمراني الفريد من قباب ومبانٍ ذات طابع ديني مميز.¹

واعتبر المؤرخون والرحالة أن قرافة القاهرة من أكثر المقابر تميزاً على مستوى العالم الإسلامي من حيث العراقة والقدسية والنظام المعماري. ومن بين هؤلاء الرحالة، يبرز ابن جبير الذي حرص على الإقامة في القرافة لما وجد فيها من قبور ومزارات لشخصيات بارزة في التاريخ الإسلامي، من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين، وقد وصفها بأنها إحدى عجائب الدنيا، نظراً لما تحتويه من معالم روحية وتاريخية.²

وتحظى بعض المشاهد لم تكن واقعة في منطقة القرافة، مثل مشهد تربة رأس الامام الحسين (عليه السلام) ومشهد السيدة زينب بنت علي، بمكانة خاصة، حيث اعتُبرت مراكز للتجمع الروحي والدعاء، وقد أشار ابن جبير إلى تعدد مشاهد أهل البيت في القرافة، فيقول: "مشاهد أربعة من رجال وخمس من النساء وعلى كل وتحد منها بناء حصيل فهي بأسرها روضات بديعة الاتقان".³

كما يُعد قبر الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي من أشهر المعالم في قرافة القاهرة، حيث شكّل محجاً للزائرين وطلبة العلم، خاصة أتباع المذهب الشافعي. ومع ذلك، أولى بعض الرحالة المغاربة والأندلسيين، الذين ينتمون إلى المذهب المالكي، اهتماماً خاصاً بمشاهد أعلام هذا المذهب، ومن أبرزهم: مشهد أشهب، ومشهد عبد

¹ الحجة، المرجع السابق، ص 634

² ابن جبير، المصدر السابق، ص 18

³ مصدر السابق، ص 19-22-23

الرحمن بن القاسم، ومشهد أصبغ بن الفرج، ومشهد القاضي عبد الوهاب وغيرهم ¹. ورغم التركيز الكبير على قرافة القاهرة، فقد استمرت قرافة الإسكندرية في جذب الزائرين، خصوصاً من بلاد المغرب، لما تحتويه من قبور لعلماء كبار استقروا بها، مما جعلها تحتفظ بمكانة دينية مهمة.

2. الحجاز

يعد الحجاز، وفي مقدمته مكة المكرمة، من أهم المراكز الروحية في العالم الإسلامي، لما يحتضنه من أماكن ارتبطت بالنبوة والوحي، وشكّلت عبر العصور محطات للزيارة والتقدّيس. وصف ابن جبير خلال زيارته لمكة عددًا من هذه المشاهد، وسجّل انطباعاته باعتباره شاهداً مباشراً على قدسيّتها ومكانتها.

يبرز ابن جبير أن قداسة مكة لا تقتصر على الكعبة المشرفة، بل تشمل مواضع عديدة ارتبطت بالسيرة النبوية، وأحداث الوحي، والنشأة الأولى للإسلام. ويرى أن هذه الأماكن استمدت مكانتها من عوامل عدة؛ أبرزها أنها مهبط الوحي، وموطن ولادة النبي محمد ﷺ، ومحل دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام، ومثابة جبريل عليه السلام حين نزل برسالة السماء ².

ومن المشاهد التي خصّها بوصف دقيق، دار السيدة خديجة ﷺ، لكونها شهدت بداية نزول الوحي على النبي ﷺ. يشير ابن جبير إلى وجود قبة تُعرف بقبة الوحي داخل الدار، إلى جانب مواضع يُقال إنها شهدت ولادة فاطمة الزهراء والحسن والحسين ﷺ. كما وصف موضعاً يُشبه الصهريج، يتوسطه حجر أسود، يُظن أنه يرمز إلى مكانة السيدة فاطمة الزهراء، حيث يتبرك الزائرون بملامسته.

وفي ذات الدار، يورد وصفاً لموضع يُقال إن النبي ﷺ اختبأ فيه، وهو حفرة صغيرة إلى جانب الجدار، تعلوها قطعة حجرية بارزة يُعتقد أنها كانت ساتراً له. غير أن هذه الرواية لم تسلم من النقد، إذ نقل المؤرخ الأزرقى نفي بعض أهل مكة لصحتها. ويلاحظ وجود قبة خشب متحرّك على هذه المواضع، يُزيحها الزائرون للتبرك بها ³. ومن المشاهد البارزة كذلك، موضع مولد النبي وهو مكان عُرف بالتقدّيس منذ القدم، وقد بُني عليه مسجد يُفتح للزوار خاصة في شهر ربيع الأول، في يوم الاثنين تحديداً، تخليداً لذكرى مولده الشريف.

كما أشار ابن جبير إلى دار الخيزران، التي ارتبطت بفترة الدعوة السرية في مكة، حيث كان النبي ﷺ يجتمع فيها ببعض أصحابه الأوائل لعبادة الله سرّاً. وتضم هذه الدار مواضع يُقال إنها شهدت جلوس النبي ﷺ، وعن اليمين موضع جلوس أبي بكر الصديق وعلي ﷺ ⁴.

أما خارج الحرم، فقد وصف مقبرة الحُجون، الواقعة قرب باب المعلى، وهي مدفن لعدد كبير من الصحابة والتابعين، رغم أن مشاهدتهم لم تعد ظاهرة. ويحرص أهل مكة على زيارتها بعد صلاة العيد، استحضاراً لفضل

¹ ابن جبير، مصدر نفسه، ص 23

² ابن جبير، المصدر السابق، ص 91

³ مصدر نفسه، ص 92

⁴ مصدر نفسه.

الدعاء والتبرك بالمكان.¹

ويُشير كذلك إلى موضعين داخل الحجر قرب الكعبة، يُعتقد أنهما قبر النبي إسماعيل عليه السلام ووالدته هاجر، حيث اعتاد الزوار الصلاة في الموضع طلباً للبركة. ويختتم ابن جبير وصفه بالإشارة إلى عدد من المواقع الجبلية المحيطة بمكة التي ارتبطت بأحداث نبوية وتاريخية، ما جعلها مقصداً للراغبين في التبرك والدعاء وإحياء الذاكرة الدينية من أبرزها: جبل أبي قبيس هو أول جبل خلقه الله وفيه موقف النبي ﷺ عند انشقاق القمر له وجبل حراء وبه نزلت أول سورة من القرآن كذلك جبل ثور وفيه الغار الذي أوى إليه النبي ﷺ مع صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ.²

عند وصول ابن جبير إلى المدينة المنورة، أولى المسجد النبوي اهتماماً كبيراً في رحلته، فكتب عنه بتفصيل دقيق، ووضح مكانته الدينية والتاريخية. فقد أدرك أن هذا المسجد هو أحد أهم المساجد في الإسلام، وهو من المساجد الثلاثة التي لا يجوز السفر بنية العبادة إلا إليها، إلى جانب المسجد الحرام والمسجد الأقصى. يرى ابن جبير أن قدسية المسجد النبوي تعود إلى أن النبي وأصحابه هم من بنوه بأيديهم، كما أن الصلاة فيه لها فضل عظيم، حيث تُعد أفضل من ألف صلاة في غيره من المساجد، باستثناء المسجد الحرام في مكة المكرمة.³

يشير ابن جبير إلى أن المسجد النبوي يضم مصلى النبي محمد ﷺ ومنبره، بالإضافة إلى الروضة الشريفة، وهي من أكثر الأماكن المقدسة داخل المسجد. كما يوضح أن المسجد شهد توسعات كبيرة عبر التاريخ الإسلامي، أدت إلى إدخال الحجرة النبوية فيه، والتي دُفن فيها النبي محمد ﷺ، وصاحبه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ. وشملت هذه التوسعات أيضاً حجرات أمهات المؤمنين، وبيوت بعض الصحابة الذين كانوا يجاورون المسجد.⁴

واحدة من أبرز النقاط التي ركز عليها ابن جبير كانت الروضة الشريفة، وهي المكان الذي يقع بين المنبر وبيت النبي ﷺ وقد أشار إلى الحديث النبوي المعروف: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي". هذا الحديث جعل للروضة مكانة عظيمة في نفوس المسلمين.

في وصفه للروضة، يذكر ابن جبير أنها تقع في الجهة القبليّة من المسجد، وتمتد من البلاط المقابل للصحن إلى البلاط الثالث تقريباً، بعرض يقارب أربعة أشبار. كما يشير إلى أن شكل الروضة غير منتظم، لها خمسة أركان بخمس صفحات، وهي منحرفة قليلاً عن القبلة. وهذا الانحراف يجعل من الصعب على من يصلي فيها أن يواجه القبلة بشكل مباشر، وهو ما وصفه ابن جبير بأنه شكل عجيب يصعب تصويره أو تمثيله بدقة.⁵

إلى جانب المسجد النبوي، اهتم ابن جبير بوصف مقبرة البقيع، التي تُعد من أهم وأشهر المقابر في الإسلام، نظراً لدفن عدد كبير من الصحابة وأهل بيت النبي فيها. ويقول عنها ابن جبير إنها المكان الذي دُفن فيه عشرة

¹ ابن جبير، المصدر نفسه، ص 91.

² مصدر نفسه، ص 93.

³ الحجمة، المرجع السابق، ص 573-574.

⁴ ابن جبير، مصدر سابق، ص 168.

⁵ مصدر نفسه، ص 170.

آلاف من أصحاب النبي ، بالإضافة إلى أزواجه وبناته وعدد كبير من التابعين وتابعيهم.
ويصف ابن جبير موقع بقيع الغرقد بأنه يقع شرق المدينة المنورة، ويدخل إليه من باب خاص يُعرف بباب البقيع. وأول ما يشاهده الداخل من هذا الباب على يساره هو مشهد صفية بنت عبد المطلب، عمة النبي. ويشير ابن جبير إلى أن مشاهد البقيع كثيرة جداً، لدرجة أنه قال إنها أكثر من أن تُعد أو تُحصى، وذلك بسبب كثرة من دُفِنوا فيه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم. ومن بين القبور التي ذكرها، قبر فاطمة بنت أسد، أم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.¹

3. العراق

من بين المشاهد التي ذكرها الرحالة ابن جبير في العراق، قبر معروف الكرخي، وهو من الصالحين المشهورين وذو شهرة واسعة بين الأولياء. كما أشار في طريقه إلى باب البصرة إلى وجود مشهد عظيم البناء، مكتوب عليه: "هذا قبر عون ومعين"² من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.³
وفي الجانب الغربي من بغداد، ذكر قبر الإمام موسى بن جعفر، بالإضافة إلى عدد كبير من مشاهد الأولياء والصالحين.

وفي أعلى الجانب الشرقي خارج المدينة، توجد محلة كبيرة مقابل محلة الرصافة، ويوجد فيها قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه. لكن يُلاحظ أن هناك اختلافاً حول مكان القبر، إذ يرى بعض البغداديين أن قبره في مقبرة الخيزران. كذلك، وقع الخلاف حول مكان قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فبينما يرى ابن جبير أنه يقع بالقرب من تلك المحلة، يذكر ابن الخطيب أن القبر موجود عند باب حرب.⁴

أما عن قبور المتصوفة في الرصافة، فيذكر قبر أبي بكر الشلي، ويضيف ابن بطوطة أربعة من كبار المتصوفة، وهم: سري السقطي، بشر الحافي، داوود الطائي، وأبو القاسم الجنيد.

وفيما يتعلق بقبر النبي يونس، فقد أشار ابن جبير إلى أنه موجود في مدينة الموصل، بينما ابن بطوطة و العبدري يتفقان على أنه في بيت المقدس، أما المهروي فيذكر أن قبره في بلدة حلحول شمال حبرون (الخليل) من أعمال فلسطين.⁵

¹ ابن جبير، مصدر نفسه، ص 173-174.

² نسب هذا القبر إلى معين على أنه أحد أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، غير مؤكدة، لأن المصادر التاريخية لم تذكر أن له ابن بهذا الاسم، الحجة، المرجع السابق، ص 625.

³ ابن جبير، مصدر سابق، ص 202.

⁴ الحجة، مرجع سابق، ص 626.

⁵ مرجع نفسه، ص 595-596.

4. الشام

تعد بلاد الشام من أبرز الحواضر الإسلامية التي تحتوي على عدد كبير من المزارات الدينية الإسلامية في بلاد الشام، كان جل المغاربة يمرون بفلسطين عند قفولهم من الحج لينعموا برؤية مسرى الرسول ﷺ يتباركون بها، نجده ابن جبير يذكر أنه بغرب دمشق جبانة كبيرة خاصة بقبور الشهداء، و فيها عدد وافر من قبور الصحابة التابعين و من القبور المشهورة هناك قبر أبي الدرداء و أم الدرداء، و قبر فضالة بن عبيد و سهل بن النظامية و هما من الذين قاموا بمبايعة الرسول ﷺ تحت الشجرة، و كذلك قبر خال معاوية بن أبي سفيان، من مشاهد المسجد الاموي مقصودة الصحابة ﷺ وهي أول مقصورة وضعت في الاسلام وضعتها معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وفي الركن الشرقي من المقصورة في المحراب خزانة فيها مصحف من مصاحف عثمان ﷺ حيث تفتح الخزانة كل يوم إثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه، كذلك مشهد رأس يحيى بن زكرياء ﷺ وهو مدفون بالجامع المكرم في البلاط القبلي قبالة الركن الايمن من المقصورة الصحابية وعليه تابوت خشب.¹

وأما في مدينة حمص أشار إلى قبر خالد بن الوليد و كذلك قبر ابنه عبد الرحمان و قبر عبيد الله بن عمر وفي حلب نجده يقرر انه كانت قديما في الزمان الأول ربوة يأوي إليها إبراهيم الخليل ﷺ بغنيمات له فيحلبها هناك و يتصدق بلبنها، و يقول انه لهذا السبب سميت المدينة "حلب" و الله اعلم، ومشهد كريم يقصده الناس و يتبركون بالصلاة فيه.²

وصف ابن جبير مسجد الأقدام بأنه من المشاهد الشهيرة حيث وجد فيه بيت صغير فيه حجر صغير مكتوب عليه كان بعض الصالحين يرى النبي ﷺ في لالنوم فيقول هاهنا قبر أخي موسى ﷺ ومقبرة من هذا المسجد موضع يعرف بالكثيب الأحمر وشأن هذا المسجد في البركة عظيم، من أبرز المشاهد جامع النيرب الذي به قبر أم مرثم ﷺ.³

¹ ابن جبير، المصدر السابق، ص 238-242-246-251.

² مصدر نفسه، ص 232.

³ مصدر نفسه، ص 253.

المبحث الثاني: الجانب العلمي

أولاً: الحواضر العلمية

1. الإسكندرية

تعتبر الإسكندرية من أعظم مدن مصر، فهي مدينة كبيرة بها القصور والمباني الكثيرة، حظيت بمكانة عظيمة لدى المغاربة، جعلت منها مركزاً ثقافياً علمياً يشدون إليها الرحال لكونها أول مدينة ينزل بها الحجاج المغاربة الوافدين عن طريق البر في مسيرتهم إلى الأراضي المقدسة، مكة المكرمة والمدينة المنورة. ونظراً لصلة الوثيقة بين المغرب والإسكندرية أطلق عليها الجغرافيون العرب تسمية "باب العرب".¹

يذكر ابن جبير مناقبها ومفاخرها حيث قال: "إنها مدينة يوجد بها المدارس والمحارس الموضوعة للأهل الطب وتبعد، وكذلك وجود مسكن يأوى إليه كل الرحالة الوافدين على الإسكندرية ومدارس للعلم يتلقى فيها الوافدين مختلف العلوم، إضافة إلى العناية الخاصة من طرف السلطان بمؤلاء الغرياء سخر لهم أطباء لخدمتهم وخدم يأمرهم بالنظر في مصالحهم".² رحل العديد من المغاربة إلى الإسكندرية فأخذ يصفونها لكونها من المدن حافلة بالعلوم من دين وأدب تعلم بها المغاربة.

من علماء الإسكندرية عماد الدين الكندي إمام من أئمة علم اللسان وكذلك فخر الدين بن الربي من أهل العلم فكانت دواعي متعددة لذلك له أثر في علماء المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق عرفوا بأهله. رحل أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيني (ت 610هـ - 1213م) إلى المشرق حاجاً وطالماً للعلم، فأدى فريضة الحج وأطال المكوث هناك، ولقي العديد من المشايخ فاتسعت روايته، وتحصل على علم غزير، وأخذ عنه طلبة العلم بالمغرب والمشرق، وأخذ عنه بالقاهرة أبو إسحاق البلفيقي الأصفر وابنه عبد الرحمن بن جوبر وابن علي بن مروان الطرطوشي وابن عيسى بن المناصف وغيرهم؛ وحدث الفقيه المالكي الإمام أبو العباس أحمد بن عمر أنصاري القرطبي ملقب بضياء الدين (ت 626هـ - 1228م) بمصر انتفع الناس بعلمه وكتبه وذاع صيته.³

2. القاهرة

كانت مدينة القاهرة تشهد حركة تعليمية نشيطة مما دفع علماء المغاربة إلى إرتحال إليها والاستفادة من المناهج المتبعة لدى علمائها في التدريس، فإرتحل من إفريقية القاضي أبو القاسم ابن زيتون في أواسط القرن سابع هجري الثالث عشر ميلادي، فأخذ عن جماعة العلماء ورجع لبلده بمنهج المشاركة في التعليم، كما ارتحل من زواوة أواخر

¹ محمد علم الدين الشقيري، صورة مصر عند رحالة بلاد المغرب والأندلس من خلال رحلي ابن جبير وابن بطوطة، دار فرحة، دب، ط 2005، 2005م، ص 32-33.

² مرجع نفسه، ص 34-38.

³ مرجع نفسه، ص 131.

القرن السابع هجري ثالث عشر ميلادي أبو علي ناصر الدين المشدالي وأدرك جملة من المشايخ وأخذ عنهم وإستفاد من منهجهم في التعليم ورجع إلى المغرب بعلم غزير وتعليم مفيد.¹

حظي عدد كبير من علماء المغرب الذين استقروا بالمشرق بالاحترام والتقدير من طرف الحكام وعامة الناس، فتصدروا مجالس العلم والتدريس بها، فأسندت إليهم المناصب الدينية والأدبية بعد أن كانوا تلاميذ متلقين إلى أساتذته مشاركين عن جدارة واستحقاق، فبرزت مكانتهم أكثر وذلك من خلال المدارس التي ترأسوها أو درسوا بها كقراء ومحدثين وفقهاء يقصدهم الطلاب للأخذ والاستزادة من علمهم، ومن أبرز هؤلاء العلماء محمد بن إبراهيم بن يحيى بن منصور بن عيسى بن أبو عبد الله الأنصاري الزواوي الفقيه الحنفي كان إمام يدرس بالمدرسة الأزيكية بالقاهرة وقد توفي بالقاهرة سنة 683هـ - 1248م.²

أصبحت مصر مجال النشاط الفكري بعد الإقبال الهائل للعلماء والمعلمون وطلبة العلم من المغرب، وهذا ما ساعد على تنمية الحركة العلمية وتبادل الثقافات بين مصر والمغرب؛ إضافة إلى ذلك عقد مناظرات وتنافس في المجال العلمي. ومن بين الذين رحلوا إلى مصر عبد اللطيف البغدادي ذهب لمصر من أجل العلم، الشريف الإدريسي رحل 510هـ فأقام بمصر سنة 511هـ - 1118م الرحالة بن أبي ربيع القيسي.³

3. مكة المكرمة:

حظيت مكة المكرمة بمكانة مرموقة لدى الحجاج المغاربة باعتبارها بيت الله الحرام والبلد الآمن شرفها الله عز وجل، رحل المغاربة إلى مكة بعد الاحتكاك الذي بين رجال العلم، فتعددت دوافع الرحلة منها: أخذ الحديث والفقه والعلوم الدينية ككل منها علم القراءات، إضافة إلى معرفة أوضاع أهل المشرق ثم نقلها للمغرب، فإن فريضة الحج في الإسلام من أعظم بواعث لرحلة آلاف من مغاربة في كل عام إلى الحجاز لزيارة البقاع المقدسة وانصراف بعدها إلى المراكز العلمية فكان العلماء بها من بين الحجاج يدنون مشاهداتهم ويسجلون أحداث مرت بهم.⁴

ازدحم المسجد الحرام بحلقات العلم مع توافد الحجاج إلى مكة المكرمة من كل مكان، تميز المغاربة بإقبالهم الكبير للحج وطلب العلم، مما جعلهم يساهمون في نقل العلوم إلى مكة وأخذ من علمائها، وكذلك تكوين مغاربة في المجال العلمي بما يتماشى مع ميولهم في الفقه والتعريف برجال الدين وأهل الحديث وأئمة الفقه، فيذكروا لنا أسماء

¹ جميلة حميدي، بورزوق سامية، الروابط الثقافية بين مدن المغرب الإسلامي والمشرق خلال القرن 9-12/15م، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي، إشراف حروز عبد الغني، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021-2022، ص95.

² مرجع نفسه، ص102.

³ بنجادي، المرجع السابق، ص125-127.

⁴ شيماء عطاييلة، رانيا دراجحة، الرحلة العلمية للمغاربة إلى المشرق من القرن الأول إلى السادس هجري/ من سابع إلى ثاني عشر ميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، خالدي مسعود، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 08 ماي 1945م، قلعة، 2021م، ص69.

من لقيهم وما أخذ عن كل أحد منهم وتقاليده في طريقة رواياتهم واجتهاد في أخذ إجازات، يسعى المغاربة دائماً لرؤية عالم المشرق ومراكز إشعاعه روحي وفكري.¹

فكانت مكة القطب الذي يتصدر هذه المراكز من خلال رحلة الحج ذهاباً وإياباً لتخللها لقاءات علمية بين أهل العلم من شيوخ وطلبة، حفلت كتب التراجم والسير بذكر ترجمة لشخصيات رجال المغرب الإسلامي الراحلين إلى مكة المكرمة؛ فكانت معظمها رحلات فردية مثل: رحلة يحيى بن محمد بن موسى مكى أبو زكريا تجيبي رحل للحج وسمع بمكة من أبي الحسن بن البناء، وواصل رحلته توفي سنة 552هـ. أشار ابن جبير إلى حلقات العلم بالمسجد الحرام دون تفصيل يقول: "أنه محقق لحلقات المدرسين وأهل العلم".²

وصف الحسن البصري فضلها فقال: "ما أعلم بلدة يحشر الله تعالى فيها يوم القيامة من الأنبياء والأصفياء والأتقياء والأبرار والصدّيقين والصالحين والعلماء والفقهاء...".

اجتهد المغاربة في كتابة مصنفاتهم أثناء رحلتهم إلى الحجاز فكان أكثرهم أدباء، استفاد المغاربة كثيراً من الرحلة إلى مكة المكرمة، التي تعتبر من أوثق المصادر التي يعتمد عليها في نقل العلم.³

4. المدينة المنورة

يأتي المسجد النبوي مركزاً ثانياً من المراكز العلمية بالحجاز، يعتبر أول بيت وضع للناس بعد بيت الله الحرام، كثرت عناية أهل المغرب بالعلم فكان المرتحل لتأدية مناسك الحج، لا بد له من المرور على المدينة للإقامة فيها والصلاة بمسجدها المبارك.⁴

بقيت المدينة مقصد الطلبة والمركز العلمي الذي يزودهم بالعلم في مختلف المجالات لنشره في بلدتهم واحتفظ المغاربة بكتبهم داخل المسجد النبوي في أماكن خاصة، حظيت المدينة بوصفاً دقيقاً وفضلها في نشر العلم من طرف الرحالة المغاربة، منهم ابن جبير الذي ذكر مناقبها ومحاسنها في قوله: "المدينة بينها وبين الروضة والقبر المقدس محمل كبير مدهون عليه مصحفاً كبيراً في غشاء مقفل عليه، هو أحد مصاحف الأربعة التي وجه بها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البلاد، وكذلك المقصورة إلى جهة الشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد المبارك".

هذا فإن المدينة المنورة من أهم المراكز التي زارها المغاربة وسمعوا بها العلم من شيوخها وعلمائها الذين اهتموا بالمغاربة واحتضنهم في بلدتهم.⁵

¹ عطائيلة، دراجرة، مرجع نفسه، ص 70-71.

² المقرئ، المصدر السابق، ص 383-386.

³ الحسن البصري (ت 110هـ)، فضائل مكة والسكن فيها، تح سامي مكى العاني، مكتبة الفلاح، الكويت، 1400هـ، ص 18.

⁴ النواب، المرجع السابق، ص 6.

⁵ مرجع نفسه، ص 230.

5. بغداد

شهدت بغداد نخضة علمية متميزة في نقل العلم، حيث نجد أن وفد من العلماء المغاربة رحلوا إلى المراكز التعليمية الخاصة بها والتي تعد من أعظم المراكز في الشام، نرى أن هذه المراكز العلمية الشرقية حافظت على مكانتها وظلت مقصداً لطلبة العلم ويعودون منها إلى وطنهم لنشر ما تلقوه من علمائها.

زار بغداد مجموعة من العلماء كانوا مكتملي العلوم ويؤخذ عنهم العلم، اكتسبوا معارف جديدة من خلال المدارس للعلم مع علماء بغداد حيث كان منهم مجموعة من زارها فقط، ومنهم من استقر بها ومن بين العلماء الذين وفدوا إلى بغداد من أجل العلم نجد أبو محمد عبد الله بن محمد الصنهاجي الأشيري (ت561هـ-1165م) بدمشق، انتقل إلى حلب وأسمع بها الحديث سنتي 558هـ-559هـ/1162م-1163م وحج، ذكر ابن النقطة أنه حدث ببغداد وغيرها من البلاد، وأخذ عنه جماعة من العلماء توفي في الشام، كان إمام المحدثين وفقهاء وأدباء لحلب خاصة وبالشام عامة.¹

كذلك نجد الإمام الحافظ الزاهد أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت543هـ-1148م)، كان له دور كبير في التأثير والتأثر. زار بغداد مرة ثانية لقي بها إمام حامد الغزالي سنة (ت505هـ-1111م) وأبا بكر الشاشي الذي تولى تدريس في مدرسة نظامية لتدريس فقه الشافعي، التي تعد من أهم المدارس العراقية مهر في وحديث جلس للوعظ والإرشاد والعلم. ويوجد كذلك من استقر لفترة طويلة في بغداد طالباً للعلم حتى أصبح يلقب بالبغدادي، وهو الفقيه المشاور أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن إبراهيم خزرجي توقي بفاس سنة (ت547هـ-1152م)²، تفقه بالمشرق ثم عاد لبلاده ليساهم في تطوير الحياة العلمية بها، فخرج على يده العديد من الفقهاء الأندلس وفقهاء المغرب ومن جملة من حدث عنه أبو عبد الله النميري، وأبو محمد عبيد الله، وأبو عبد الله بن حميد، وأبو القاسم عبد الرحيم بن ملجوم وغيرهم.

ومنه نرى أن هناك كان تفاعل كبير المغاربة والمشاركة في تبادل العلوم والمعارف، من خلال زيارات للمراكز العلمية واللقاء بكبار العلماء والأخذ منهم.³

¹ محمد جبار أنصاري، تفاعل ثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته الشرقية وتحولات عصره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م، ص98-99-103.

² نضال محمد الزبون، "زيارة العلماء لمدينة بغداد من خلال كتاب ذيل تاريخ مدينة السلام لابن الديبشي (637هـ-1239م) دراسة في دوافع والنتائج"، مجلة مؤرخ المصري، ع62، جانفي 2023م، ص ص 318-319.

³ مرجع نفسه.

6. بيت المقدس

من الأماكن المباركة المقدسة التي بناها داود عليه السلام بأمر من الله تعالى.¹ فالمسجد الأقصى مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم وثاني مسجد وضع في الأرض ونظراً لقداسته ومكانته شد المسلمون إليه الرحال فكان للمغاربة أيضاً نصيب منه.²

ارتبطت المغاربة بالقدس من الأيام الأولى التي اعتنقوا فيها الإسلام لينعموا برؤية بيت المقدس ومنه يتلقون العلم ويعد من المساجد العجيبة الرائقة، التي رحل إليها عشرات المغاربة ممن كانوا يهتدون بهم في الديار المغاربة حيث يعطرون بذكره في مجالسهم ويروون عن الأئمة والعلماء الذين صادفهم هناك، ومن بين اللذين رحلوا إلى بيت المقدس أبو بكر الطرطوشي الذي شد رحاله إلى المسجد الأقصى ونهل منها علماً كثيراً وجمع الأخبار والحوادث التاريخية في كتبه الحوادث والبدع وكذلك الشرف الإدريسي السبتي (ت548هـ / 1154م).³

7. دمشق

شهد القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي نشاطاً علمياً ملحوظاً في عدد من الحواضر الإسلامية الكبرى، وكانت دمشق من أبرز هذه الحواضر، حيث لعبت دوراً محورياً في استقطاب العلماء وطلبة العلم من مختلف الأقطار الإسلامية، لا سيما من بلدان الغرب الإسلامي.

وقد ساهمت المؤسسات العلمية المنتشرة في المدينة، وعلى رأسها الجامع الأموي، في تعزيز هذا النشاط، إذ تحوّل الجامع إلى مركز علمي بارز اجتمع فيه كبار العلماء وطلبة العلم، ومنهم الشيخ العماد المقدسي (ت614هـ / 1217م) الذي كان يُدرّس فيه القرآن والفقه، ويتوافد عليه الطلاب كل ليلة بعد صلاة العشاء، كان الجامع الأموي أيضاً ملتقى مهمّاً للمغاربة، حيث وجد فيه طلبة العلم المغاربة دعماً وتسهيلات مكنتهم من البقاء في دمشق، ومجالسة الشيوخ والتعلّم منهم، مما ساهم في نشوء حركة علمية مغربية نشطة في الشام، وقد تنوعت مجالات إسهام العلماء المغاربة في دمشق، إلا أن الغالبية منهم برزوا في العلوم الدينية، وعلى رأسها علوم القرآن الكريم، مثل القراءات والتفسير والفقه، بالإضافة إلى علوم اللغة العربية كالنحو والأدب. ومن أبرز أعلام المغاربة في علم القراءات:

- الشيخ الوجيه إبراهيم بن يوسف المغربي المعروف بابن البوني (توفي 612هـ / 1215م)، وكان من شيوخ القراء المعتمدين في جامع دمشق، يؤم الناس في مقصورة الحنفية الغربية، وكان عُرف بفضلته وخدمته للناس.
- الشيخ زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي الزواوي المغربي (ت638هـ / 1240م)، وهو إمام في علم النحو نزل دمشق وله العديد من المؤلفات.

¹ ابن جبير، المصدر السابق، ص171.

² ابن الأثير، مصدر السابق، ج1، ص940

³ عبد الهادي التازي، القدس والخليل في الرحلات المغربية رحلة ابن عثمان نموذجاً، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، السعودية، ص 11-76

كما برز عدد من الفقهاء المغاربة، منهم:

- أبو محمد جامع بن عبد الله الأندلسي (ت602هـ / 1205م)، الذي تولى القضاء في دمشق حتى وفاته.
- غالب بن أبي محمد عبد الخالق بن أسد الطرابلسي (ت608هـ / 1211م)، وقد كان واعظاً ومصنفاً.
- برهان الدين بن علوش بن عبد الله المغربي (ت617هـ / 1220م)، وكان عالماً بارزاً في أصول الفقه وفروعه، وإمام المالكية في دمشق.¹

ثانياً: المؤسسات التعليمية

1. المساجد

إن للمساجد دور عظيم في الإسلام وله منزلة في المجتمع المسلم، للمساجد مكانتها ودورها في التواصل بين المشرق وبلدان الغرب الاسلامي، رحل المغاربة لها من خلال زيارتهم لحواضر المشرق من بين المساجد في الحجاز ومصر وبغداد، ومنه سوف أذكر أهم مساجد لهذه الحواضر التي وفدوا لها المغاربة.

1.1. الحرمان الشريفان

احتوت مكة المكرمة على العديد من المساجد، إلا أن المسجد الحرام يعد الأهم بينها وهو من أعظم المساجد الإسلامية على الإطلاق، وقد كانت الحلقات العلمية به تزخر بالطلاب والمتعلمين حيث كانا تعقد فيها دروس العلم وتنقل المعارف الدينية. لاحظ ابن جبير خزانة للكتب تتبع الإمام المالكي موقوفة على أهل مذهبه ومن بين العلماء الذين وفدوا له يحيى بن محمد بن سعادة ويعرف بن فصال ويكنى أبا بكر، أخذ القراءات عن أبي الحسن العبسي رحل لتأدية فريضة الحج وسمع بمكة من أبي محمد عبد الواحد بن أبي الحسين عبد القادر البغدادي ت543هـ.²

أما المسجد النبوي يأتي في المركز الثاني بعد المسجد الحرام كان به العديد من العلماء يسمع منهم، الذين يعتقدون مجلسهم أحياناً بجانب رواق الروضة لدى العلماء وطلبة. ومنه نرى أن الحرمان الشريفان أصبحا مقصداً يصلهما العلماء وطلبة العلم.³

2.1. جامع أحمد بن طولون

كان جامع بن طولون يحظى لدى المغاربة بمكانة خاصة به إقامة الفقهاء من الحجاج المغاربة ومتصوفة منهم الذين لا يقدرّون على الكراء منازل للسكن، وخصص السلطان صلاح الدين للمغاربة أرزاق تجرى لهم في كل شهر، يقول ابن جبير: "وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصفة الواسعة البنيان جعله السلطان مأوى للغرباء من

¹ يوسف بالمهدي، المغاربة بماضرة "دمشق في العصر الوسيط وأثرهم في الحركة العلمية والاجتماعية ببلاد الشام"، مجلة التراث، مج1، ع3، ص91-109

² الحجمة، المرجع السابق، ص653.

³ المرجع نفسه، ص654.

المغاربة يسكنوه ويخلقون فيه"، كشف التجيبي عن جامع ابن طولون ذكره مجموعة المدارس التي رتبها فيها السلطان، ظل مسجد ابن طولون مستمراً في تقديم أنشطته التعليمية للغرباء المغاربة وطلبة العلم.¹

وصف رحالة مساجد مدينة الإسكندرية، يقول ابن جبير: "الإسكندرية أكثر بلاد الله مساجداً، حتى أن تقدير الناس لا يطفف فمَنهم أكثر ومنهم مقلل. وكذلك جامع عمرو بن العاص بالقسطنطينة وقدم له الرحالة المغاربة وأندلسيون ويذكر ابن جبير أن جامع عمرو بن العاص نحو 30 ديناراً مصرية في اليوم. ومن العلماء الذين وفدوا للإسكندرية عبد الله بن محمد ابن سكاك المالكي: وهو عبد الله بن محمد عبد الملك بن عبد الله بن سليمان مالكي من أهل مدينة فاس، دخل المرية لقي بها أبا القاسم ابن ورد فأخذ عنه، ورحل للمشرق لتأدية فريضة الحج وسمع عن أبي طاهر السلفي الإسكندرية سنة 596هـ.²

3.1. الجامع الأموي

يعد ابن جبير من أوائل الرحالة في ذكر حلقات العلم والتدريس بالجامع، يقول: ومن مفاخر هذا الجامع أنه لا تخلو القراءة منه صباحاً ومساءً، وفيه حلقات تدريس للطلبة والمدرسين فيها إجراء واسع، ومن بين العلماء الذين دخلوا له: يحيى بن سعدون بن محمد الأزدي، من أهل قرطبة أخذ قراءات ببلده ورحل إلى المشرق، دخل بغداد وأخذ قراءات دخل أصفهان وغيرها من مناطق المشرق في ذي حجة يوم عيد الأضحى سنة 567هـ، بالموصل وهو من أشهر العلماء المغاربة الذين رحلوا للمشرق.³

2. الزوايا

حظي المغاربة باهتمام خاص من قبل المشاركة فقد أولوا اهتمامهم لهم وأنشأوا لهم عدة زوايا وقاموا بتعميرها وتخصيص أوقاف لها من مالهم الخاص، وأهم زاوية زاوية المغاربة بدمشق أنشأها الشيخ عبد الصمد الدكالي وأوقفها على فقراء المغاربة أواخر القرن السادس هجري، وكان الشرف يحيى بن المغربي الحاج الدقاق نزيل مدينة دمشق 661هـ-1264م، كذلك للمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي يجتمع فيه الطلبة المغاربة.⁴

3. المدارس

¹ ابن جبير، المصدر السابق، ص 26.

² مصدر نفسه، ص 27.

³ عبد الواحد ذنون طه، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور التواصل الحضاري مع المشرق، دار حامد، دب، ط 1، 2014م، ص ص 436-438.

⁴ ناهد قربي عبد الحميد، "مشيخة المغاربة في مصر وبلاد الشام خلال عصري الأيوبيين والمماليك (589هـ-923هـ/1193م-1517م)"، مجلة كلية دار العلوم، 53، جانفي 2025م، ص 758.

انتشرت المدارس في المشرق وخصص لها أوقاف ومن خلال انتشار هذه المدارس نلاحظ دخول العديد من المغاربة لبلاد المشرق من أجل طلب العلم، ومنه نذكر أهم هذه المدارس:

1.3. المدرسة النظامية¹

كان بالمدارس النظامية آلاف من طلاب العلم من مختلف الأنحاء كانت تسهل لطلابها وسائل الراحة في طلب العلم. فذكر ابن جبير لهذه المدارس أوقاف عظيمة تتصير إلى الفقهاء المدرسين بها وتعليم بالمدرسة نظامية مبنى على التخصص، فكان هناك قسم للإقراء ودراسة القرآن، وقسم لتعليم الفقه والأصول وآخر لتدريس الحديث وفرع لتدريس اللغة العربية وآدابها. ومن العلماء من جاء لطلب العلم وأصبح يلقب بالبغدادي فقيه المشاور أبو عبد الله بن أحمد بن إبراهيم خزرجي تفقه بالمشرق ثم عاد لبلاده، ليساهم في تطوير الحياة العلمية بها فتخرج على يده فقهاء من الأندلس والمغرب.²

2.3. المدرسة الصلاحية³ أو الناصرية بالقراة

عرفت بمدرسة الشافعي وكانت وفقاً على الشافعية، ذكر التيجي أنها كانت عامرة بطلاب العلم بقوله: "وتتصل بها مدرسة هائلة عظيمة الساحة كثيرة المساكن و المرافق، عامرة العلم". ويقول البلوي أنها: "مدرسة مختلفة الصنعة وسامية المنية أعظم المدارس اتساعاً وأعلاها سموً وارتفع بها مرافق وأوقاف خاصة للغرباء من المغاربة".⁴

3.3 مدرسة في واسط

زخرت مدينة واسط بعدد كبير من المدارس وأكثر أهلها يحفظون القرآن الكريم، أصبحت واسط من أهم مراكز لتدريس القرآن وعلم القراءات. وهي مدرسة ينزلها الغرباء القادمون لتعليم القرآن، عمر الشيخ تقي الدين بن عبد المحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهائها. كان لهذه المدارس أوقاف وأماكن مخصصة لنزلاء هذا البلاد من أجل طلب العلم والالتقاء بكبار العلماء فيها والأخذ منهم.⁵

بالنسبة للمدارس التي نشطت في دمشق في القرن السادس هجري ثاني عشر ميلادي **المدرسة الخاتونية** التي بنتها زمرد خاتون بنت جاوي (ت 557هـ/1162م)، وكانت للطائفة الحنبلية درس بها الفقيه جلال الدين أبو

¹ هي مدرسة أسست في عهد الدولة السلجوقية وسميت بنظامية نسبة إلى مؤسسها نظام الملك الحسن بن علي وهي من أكبر وأشهر المدارس التي تأسست في بغداد (459هـ/1065م).

² محمد مصطفى زيادة، رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة، معهد خليف للأبحاث المغربية، القاهرة، دط، 1939م، ص 150-151.

³ هي من أعظم المدارس التي بناها صلاح الدين الأيوبي سمية بالصلاحية نسبة لمؤسسها بنيت سنة 572هـ/1176م.

⁴ شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، بيروت، ط4، ص ص 75، 76.

⁵ بلاكاوي، جاي، المرجع السابق، ص38.

محمد عمر الخجندي (ت 691هـ / 1292م). والمدرسة الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي (ت 589هـ / 1193م)، والمدرسة الحنبلية أنشأها شرف الإسلام عبد الوهاب الشيرازي الحنبلي (ت 536هـ / 1141م)، درس فيها نجم الدين بن عبد الوهاب الدمشقي (ت 586هـ / 1190م)، ونشطت أيضا المدرسة العادلية الكبرى داخل دمشق بناها نور الدين محمود سنة 568هـ / 1172م، وأكملها الملك العادل سيف الدين بن شادي (ت 615هـ / 1218م)، وهي مدرسة لشافعية. ومن المدارس الأخرى كذلك نجد المدرسة العمادية بناها عماد الدين إسماعيل بن نور الدين وأوقف عليها أوقاف، وكذلك مدرسة الكلاسة قرب جامع الأموي بناها نور الدين محمود سنة 555هـ / 1160م وجددها صلاح الدين سنة 577هـ / 1181م. كثر في هذه المدارس الشيوخ والعلماء وتعددت التخصصات العلمية، فتخرج منها الكثير من الطلاب و ساهموا بدورهم في تنشيط الحياة العلمية.¹

برزت مظاهر التفاعل العلمي بين المغاربة والمشاركة من خلال الرحلات العلمية والتي لها الفضل الكبير في ازدهار النشاط العلمي، والتي لم تشكل عائقا في تبادل العلمي، وحدثت الروابط الثقافية بين فقهاء وعلماء المغرب الاسلامي والمشرق، والرحلات التي قام بها الكثير منهم أتاحت فرصة لتبادل المعارف، حيث فتحت أبوابها للعلم ونتج عن حركة تنقل العلماء بين المغرب والمشرق إطلاع هؤلاء على المناهج التي كانت معتمدة في تعليم وتدريس بأطواره المختلفة فعملوا على توظيفها في حلقاتهم الدراسية.

¹ وسيلة فراج، "المناهج التعليمية في دمشق خلال القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي"، مجلة دراسات التاريخية، 2، نوفمبر 2012، ص 127-144.

المبحث الثالث: الجانب العمراني

أولاً: العمارة الدينية

حظيت العمارة الدينية في الحضارة الإسلامية بمنزلة سامية، وتجاوزت وظيفتها كونها مجرد دور للعبادة لتشمل جوانب العلم والتوجيه والإشعاع الفكري، فضلاً عن توفير أماكن للتصوف والاعتكاف. وقد تجلّى هذا الاهتمام في المشرق بوضوح في بناء المساجد الفخمة وتزيينها بإتقان، وهو ما وصفه ابن جبير بإعجاب شديد عند زيارته لجامع دمشق. وقد أسهب في وصف تفاصيله المعمارية، مشيراً إلى تخطيطه المميز الذي يتميز ببلاطات عمودية وأروقة موازية لجدار القبلة. تطور الجامع الأموي بدمشق عبر المراحل، فبعد أن كان تصميمه الأول مربعاً، اتخذ لاحقاً شكلاً مستطيلاً بطول 136 متراً وعرض 37 متراً، بينما أشار أحد المؤرخين إلى أن عرض الإيوان الرئيس يبلغ 50 متراً ويتكون من ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة. هذا التغيير سمح بتقليل عدد الصفوف وزيادة عدد المصلين، مع تحقيق ترابط أكبر بين الصفوف. وبلغ طول بين الصلاة 136 متراً وحسن المسجد 123 متراً دون المدخل، بينما وصل طول جدار القبلة إلى 190 متراً، وعرض كل مدخل من الجهات الثلاث سبعة أمتار. وقد أولى المهندسون اهتماماً خاصاً لباب بين الصلاة المؤدي إلى الصحن، فجعلوه ضخماً يشبه باب مسجد كامل، خاصةً أنه يؤدي إلى الرواق الأوسط المنتهي بالقبلة.

عُرف الجامع بفخامة زخارفه، حيث فُرشت أرضيته بالرخام وغطيت جدرانه بألواح رخامية بارتفاع قامة الإنسان، وتعلوها زخارف من الفسيفساء الملونة والمذهبة، ولا يزال جزء كبير منها باقياً في الرواق الغربي. كما تميز المسجد بنوافذ رخامية تحمل أقدم النماذج من الزخارف الهندسية في الإسلام. وتتوسط البلاطة الوسطى قبة حجرية أضيفت لاحقاً في عام 475 هـ/1082 م في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي، وتتميز بارتفاع سقفها الذي يصل إلى 23 متراً مقارنة بـ 15 متراً في بقية أنحاء المسجد. فسيفساء بطول 34.5 متراً وارتفاع 7 أمتار تصور نخراً وأشجاراً ونباتات وبيوتاً وقنطرة، مما يعكس سعي الفنان لموازنة العمران بالطبيعة. وبه أقدم نموذج للمئذنة على شكل برج مربع في الأركان الأربعة، وتُعد أول مئذنة في الإسلام، وقد نُقل تصميمها إلى بلاد المغرب.¹ (الملحق 3)

اعتمد تصميم الجامع على ثلاثة أساكيب بعرض حوالي 12 متراً لكل منها، يفصل بينها ثلاثة صفوف من أعمدة الرخام بطبقتين، أعمدة ضخمة تعلوها تيجان كبيرة وأخرى أصغر بتيجان صغيرة تحمل سقفاً بارتفاع حوالي 15 متراً. ويقطع هذه الأساكيب بلاطة المحراب التي يبلغ ارتفاعها 23 متراً. ويطل على صحن المعبد عدة أبواب

¹ علي عجيل حنون، ضياء ناجي جبار، الجامع الأموي في دمشق، بحث لنيل شهادة بكالوريوس، إشراف لطيف تايه الطائي، قسم الاسلامي، كلية الآثار، جامعة القادسية، 2018، ص 10-14.

وقباب، أشهرها قبة بيت المال القائمة على ثمانية أعمدة رخامية والمزخرفة بالفسيفساء الملونة وسقفها من الرصاص. أما الأروقة المحيطة بالصحن فتتكون من طابقين من الأعمدة والأكتاف التي تحمل الأقواس وسقفًا مائلًا لتصميم المساجد الإسلامية الأولى، كمخطط المسجد النبوي.¹

شهد الجامع استخدام المقرنصات في زخرفة العمارة الإسلامية، وهي حليمات معمارية تشبه خلايا النحل وأصبحت ذات استعمال زخرفي. كما بُنيت دعائم ضخمة حول جدران الجامع التحقت بواجهاته، ولكنها لم تكن مساندة للبناء كما يرى بعض الباحثين. وتوجد وسط الحرم قبة عالية محمولة على أربعة أعمدة ضخمة، وتغطي الحرم سقوف سنامية الشكل مصنوعة من الخشب ومغطاة بالرصاص من الخارج. وفي الطرف الشرقي من الحرم يوجد ضريح.

هذا النمط التصميمي الذي استرعى انتباه ابن جبير في قلب العالم الإسلامي الشرقي، كان له تأثير عميق على تطور العمارة الدينية في أقصى الغرب الإسلامي. ففي بلاد المغرب، نجد أن جامع القرويين بفاس، الذي تأسس في القرن الثالث الهجري ويعد من أقدم وأشهر المساجد في المنطقة، يتبنى تخطيطاً مشابهاً في بيت صلاته، مما يشير بوضوح إلى انتقال الأفكار المعمارية وتأثر الغرب بنماذج المشرق الرائدة. ومن أنماط تصميم المساجد التي اعتمد عليها أهل المغرب نجد المسجد الأموي بدمشق وجامع الأزهر بالقاهرة.² (الملحق 4)

يمثل تأثير الفكر المشرقي في عمارة المساجد بالأندلس من خلال نمط بناء مسجد قرطبة يقول السيد عبد العزيز سالم: "...إن جامع قرطبة الذي أعاد عبد الرحمن الداخل بناءه يجُلّوه تأثيرات فنية سورية". الذي أصبح فيما بعد أساساً في بناء كل مساجد الأندلس، اتبعوا طرق البناء في المشرق من حيث اختيار موقع المسجد، فجوامع المشرق تقع في وسط المدينة وكذا مساجد الأندلس، فهذا مسجد قرطبة يتوسط عمارة المدينة وهو منطلقها وكذلك مساجد طليطلة وسرقسطة وغرناطة التي كانت كلها تتبع في اختيار موقع بنائها مسجد قرطبة، ويكون المسجد باتجاه الجنوب، كما أثر المسجد الأموي بالشام على مساجد الأندلس من حيث زخارفه المعمارية، ونظام سقفه وعقوده وهذه العقود ترتفع ارتفاع مساحته، وممر المسجد الذي يوصل إلى مبنى الإمارة أو الخلافة.³ وهذا ما يؤكد باسيليو بابون مالدونادو أن مسجد قرطبة تأثر بالفكر العمراني المشرقي على فترات ممتدة الأروقة وطريقة البناء. وعن مواقع مساجد العدو الأندلسية، فجوامع مدنها ثابتة في تخطيط المدينة الإسلامية، وليس يبعد عنها مسجد

¹ مضيء بن عودة، يمينة بن صغير حضري، "التجليات الدينية لعمارة بلاد المغرب الإسلامي"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، م5، ع3، جوان 2022، ص216.

² مرجع نفسه، ص217

³ مصطفى شبلاوي، محمد زروق، "أثر الفكر العمراني المشرقي في العمارة الأندلسية خلال القرنين (2-5هـ/8-11م)"، مجلة البحوث والدراسات العلمية، مج19، ع1،

2025، ص1036-1022

السوق المتواجد بسوق المدينة، أما من حيث إقامة مبنى المسجد فكان اتجاهه صوب الجنوب، عملاً في هذا وإتباعاً للقاعدة المعمول بها في إقامة المساجد في المشرق وعلى هذا النحو جرى إقامة حائط القبلة في هذه الوجهة، بينما كانت أروقة المسجد مستعرضة عليه.¹

كما أن الإشارة إلى جامع الأزهر بالقاهرة، تأثر بدوره بتصميم جامع قرطبة ذي الجذور المعمارية المشرقية، يؤكد على استمرار هذا التواصل في فن بناء المساجد وتصميمها.

بالنسبة للأهمية الرمزية والمعنوية للمباني الدينية، فقد تجلت في وصف ابن جبير لمشهد رأس الحسين بالقاهرة، حيث أسهب في وصف عظمة البناء وزخرفته البديعة التي تعكس المكانة الدينية الرفيعة لهذا الموقع.² هذا الاهتمام بالأبعاد الروحية والرمزية في العمارة الدينية نجده حاضراً أيضاً في بلاد المغرب، على سبيل المثال في بناء مسجد تينمل في قلب جبال الأطلس تخليداً لذكرى المهدي ابن تومرت، والذي يعكس الارتباط العميق بالأسس الدينية للدولة الموحدية.

أولى الموحدون اهتماماً بالغاً ببناء المساجد وتعميرها كمراكز للإشعاع الفكري لدعوتهم. فكانت مراكش أولى المدن التي شهدت اهتماماً بإنشاء المساجد، ثم إنشاء صومعة حسان بالرباط التي بنيت على نفس طراز منارة الكتبية بمراكش. وقد شرع الخليفة الموحي عبد المؤمن ببناء جامع الكتبيين بمراكش عام 553هـ/، والذي وصف بأنه ذو أبعاد استثنائية ومساحة تقارب 5300 متر مربع، ويضم 17 جناحاً و11 قبة مزخرفة بالنقوش. وقد بنيت هذه الصومعة بعد استيلاء الموحيين على مراكش وهدمهم لمساجد المرابطين التي رأوا فيها انحرافاً عن القبلة. وتتميز صومعة الكتبية بتصميمها المربع وزخرفتها المستلهمة من صومعة عبد الرحمن الداخل في جامع قرطبة الكبير.³

كما بنى الموحدون مسجد حسان بالرباط في عهد الخليفة يعقوب المنصور عام 592هـ/، والذي كان يهدف إلى أن يكون أكبر مساجد المغرب، وتتميز صومعته الشبيهة بمنارة جامع دمشق ببنائها من حجر صلب وسهولة الارتقاء إليها. وأخيراً، بنوا مسجد تينمل تخليداً لذكرى المهدي ابن تومرت، والذي يتميز بتصميمه المستطيل وقاعة الصلاة ذات التسعة أروقة وثلاث قباب، وصومعته المستطيلة الشكل التي تعتبر استثناءً في هندسة الجوامع بالمغرب. ويشكل محراب تينمل إحدى روائع الفن الإسلامي بالمغرب.

شكلت القبة عنصراً معمارياً أساسياً في العمارة الإسلامية، حيث استخدمت بتميز في تغطية المنشآت المعماري المختلفة، تعتبر ظاهر تعدد القباب من تأثيرات المغربية على العمارة المصرية ومثال على ذلك قبة البهو

¹ باسيليو يابون مالدونادو، عمارة المساجد في الاندلس، تر.علي ابراهيم منوفي، د.س، ص33

² ابن جبير، المصدر السابق، ص19

³ محمد هيمون، "مراكش حاضرة علمية"، حوليات التاريخ والجغرافيا، مج9، ع2، 2020، ص29-65

بجامع الأزهر في شبيهة بقبة البهو بجامع القيروان فهي تقليد مغربي.¹ بل في كل مساجد الإسلام شرقا وغربا بحيث يمكن القول بأن قباب زيادة الحكم تمثل اللبنة الأولى في فن بناء القباب التي تعتمد على وجود أربع قباب موزعة على بلاط المحراب وأسكوبة، وكان لهذا الأسلوب المتطور الذي نشهده لأول مرة في جامع إسلامي أثره الواضح في توزيع وبناء قباب المساجد في بلاد المغرب والأندلس في العصر الموحدين التي اتخذت من تسلسل قباب الحكم على بلاط المحراب الموازي لحدار القبلة والعمودي عليه نموذجًا احتذائه تلك المساجد، وأن اقتصر توزيع قبابه البالغ عددها خمسة على بلاط المحراب الموازي لحدار القبلة. وفي مسجد تنمل (أو تنملل) وهما من بناء عبد المؤمن بن علي المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين. وفي جامع القصبة بمراكش، الذي تتفق قبابه عددًا وتوزيعًا مع قباب الحكم وقد تم بناؤه عام على عهد يعقوب المنصور بن يوسف الموحدي، وأخيرًا مسجد الموحدين بأشبيلية الذي شرع في بنائه يعقوب بن يوسف الملقب بالمنصور في عام ، وبما أن فكرة تعدد القباب وتسلسلها على بلاط المحراب الموازي لحدار القبلة والعمودي عليه صارت طابعًا مميزًا لمعظم المساجد في الغرب الإسلامي.²

إذا انتقلنا إلى المشرق الإسلامي نجد أن الفكرة نفسها قد طبقت وبصفة خاصة في الجامع الأزهر الذي شيد بعد زيادة الحكم بنحو خمس سنوات بل أن بناء جامع الأزهر قلدوا أسلوب توزيع قباب قرطبة بعد إضافة الحافظ لدين الله القبة المعروفة بقبة البهو عند بداية الرواق الأوسط العمودي من جهة الصحن، وبذلك أصبح عدد قباب الجامع أربعة حيث كان المسجد في مرحلة إنشائه الأولى يشتمل على رواق أوسط عمودي على جدار القبلة بنهايته قبة أمام المحراب وبطرفي الرواق مما يلي جدار القبلة قبتين واحدة في الطرف الشمالي وثالثة في الطرف الجنوبي. وبذلك تكون فكرة تسلسل القباب على بلاطة المحراب قد انتقلت من الأندلس ممثلة في قباب زيادة الحكم بجامع قرطبة إلى مصر الفاطمية، واعتقد أن الفكرة وإن كانت قد ظهرت بادئ ذي بدء في بلاد المغرب وبخاصة في جامعي القيروان والزيتونة غير أنها انتقلت بشكلها المتطور المعتمد على أربع قباب بدلا من قبتين أو ثلاث قباب من قرطبة.³

إلى جانب المساجد ، أشار ابن جبير إلى انتشار الأريطة في المشرق، والتي وصفها بأنها "قصور مزخرفة يضطرد في جميعها الماء على أحسن منظر يبصر... وهي برسم الصوفية". وقد ذكر رباطات أخرى سماها "الخوانق"

¹ محمود سيد أبو المجد وآخرون، تأثيرات المغربية الأندلسية على العمارة الإسلامية في مصر، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، كلية السياحة والفنادق، جامعة الفيوم، مج15، ع2، 2021، ص ص473-495.

² مرجع نفسه.

³ كمال عناني إسماعيل، أصداء جامع قرطبة على عمارة مصر الإسلامية، دراسات في آثار الوطن العربي، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص1077-1117

وكانت كثيرة، مشيراً إلى وظيفتها في إيواء الصوفية وتوفير بيئة للعبادة والتأمل.¹ هذا الاهتمام بالأربطة كمؤسسات دينية واجتماعية لم يكن غائباً عن بلاد المغرب، حيث انتشرت حركة الأربطة أيضاً، وكانت القيروان أول مدينة شهدت بناءها، كما ذكر رباط شاعر الذي أسسه عقبة بن نافع. وقد اتفقت وظائف الأربطة في المشرق والمغرب في إيواء الغرباء وتوفير أماكن للعبادة والاعتكاف، مما يعكس تواصلاً في هذا النوع من المنشآت الدينية.

ثانياً: العمارة المدنية

أبدى ابن جبير اهتماماً كبيراً بالمنشآت المدنية في المشرق، والتي عكست مستوى عالياً من التنظيم الحضري والرفاهية الاجتماعية. وقد أشاد بمدينة الإسكندرية، وقلعة القاهرة، ومارستانها المتطور، وأسواق بغداد ومدارسها وحماماتها.

في المقابل، شهدت دولة الموحدين اهتماماً مماثلاً بالعمارة المدنية. فقد قام الخليفة أبو يعقوب يوسف بتوسيع مدينة مراكش عام 579هـ/، وتم إنشاء مدينة جديدة متصلة بها عرفت باسم "بتا مراكش" تميزت بأسوارها الضخمة وقصورها وبساتينها وأسواقها المنظمة. كما أسس الموحدون مدينة رباط الفتح (الرباط) التي استغرق تأسيسها نصف قرن وقد جاء بناء هذه المدينة مشابهاً لمدينة الإسكندرية من حيث اتساع الشوارع، وحسن التقسيم، واتساع البناء وتحسينه وتحصينه إضافة إلى بنائه على البحر في اتساع شوارعها وحسن تقسيمها وتحصينها وبنائها على البحر. وقد بنى الخليفة عبد المؤمن القصبة الحصينة بالرباط، وأجرى لها الماء، واهتم الخلفاء الموحدون بها اهتماماً بالغاً. كما عرفت الرباط إنشاء صومعة حسان، وتأسيس العديد من القصور الملكية والأسوار التي بدأ يوسف بن عبد المؤمن ببنائها. وقد اتخذها الخليفة يعقوب المنصور مقراً لسكنه وحاضرة لمملكته.² (الملحق 5)

كما أشارت معظم المصادر التاريخية إلى تخطيط العاصمة دمشق تشمل الدور والرباع والقصور والمعاصر والطواحين، حيث يظهر الفناء الوسطي هو الأساس في التخطيط، كانت في عهد الأمويين مؤلفة من أحياء وحارات تضم بيوتاً مغلقة يتوسط البيوت فناء فيه حوض ذو نافورة، وفيه أشجار وأزهار، أما القصور الأموية بالشام فقد ظهرت جلية على ملامحها في المعمار الأصيل الخاص بهم وبخاصة دمشق، فأقيمت أحواش على شاكلة نظيرتها في سورية وزين أحواشها الداخلية بالأزهار والورود وتوسط منازلها بنافورات لتدفق المياه. ولم تخرج المدن المغربية الأندلسية عن هذا النمط من التخطيط للمدن الإسلامية في بقية الأمصار الأخرى التي تبنى حول المسجد ودار الإمارة تحيط بها، ومنها تتفرع الطرقات والدروب، وقد نجم عن هذا النمط العمراني وجود مدن خاصة بكل قبيلة، ذهب الكثير

¹ ابن جبير، المصدر السابق، ص 256.

² شبلوي، زروق، المرجع السابق.

من المهتمين بالشأن العمراني المشرقي والأندلسي في تقسيم المدن على النمط المشرقي، فقد قسمت في عهد أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي سنة إلى كور، وسار على ذلك عبد الرحمن الداخل في عهده: "...قسّم عبد الرحمن الداخل الأندلس إلى كُور وفقاً للنظام المشرقي المعروف مع الاحتفاظ بالخطوط الكبرى للتقسيم الإداري الذي عرفته منذ عهد الرومان...".

ولم يقتصر التأثير على التصميم فقط، بل شمل حتى أسماء القصور؛ فقد كانت في الأندلس أسماء مشابهة لتلك التي كانت تُستخدم في قصور الخلافة العباسية. على سبيل المثال، قصر "التاج" الذي يحمل نفس اسم قصر المنصور في بغداد، بالإضافة إلى قصور "المعشوق" و"المختار" و"البديع"، وهي أسماء مأخوذة مباشرة من القصور العباسية.¹

عند مقارنة هذه المشاهدات بالمنجزات العمرانية في بلاد المغرب والأندلس، وخاصة ما خلفه الموحدون، يتبين وجود تواصل وتأثير متبادل غني ومتنوع في الأفكار والأنماط المعمارية. فبينما استلهم الغرب الإسلامي العديد من المفاهيم والتصاميم من المشرق، طور أيضاً أساليبه الخاصة وأضاف إليها لمسات تعكس الخصوصية المحلية والابتكار الذاتي في بناء المساجد والأربطة والمدن والمنشآت الخدمية. إن دراسة هذا التفاعل العمراني العميق تؤكد على وحدة الحضارة الإسلامية وتلاقحها الفكري والفني عبر أقاليمها المترامية الأطراف.

¹ هدى نوري شكر، أثر الحضارة العراقية على الحضارة الأندلسية الإسلامية، مجلة الطريق لدراسات التربوية والاجتماعية، ع7، مج7، جوان 2020، ص74-91

الخاتمة

خاتمة

من خلال تحليل لمضامين رحلة ابن جبير، يتبين أن هذه الرحلة تُعد مصدرًا تاريخيًا مهمًا، لا لرصد أحوال المشرق فقط، بل لتوثيق حضور المغاربة فيه، بمختلف أدوارهم ومجالاتهم. فقد أتاح لنا هذا النص الغني الوقوف على طبيعة العلاقة بين المشرق والمغرب، وعلى أشكال التفاعل الحضاري التي لم تكن سطحية أو مؤقتة، بل عميقة ومستمرة.

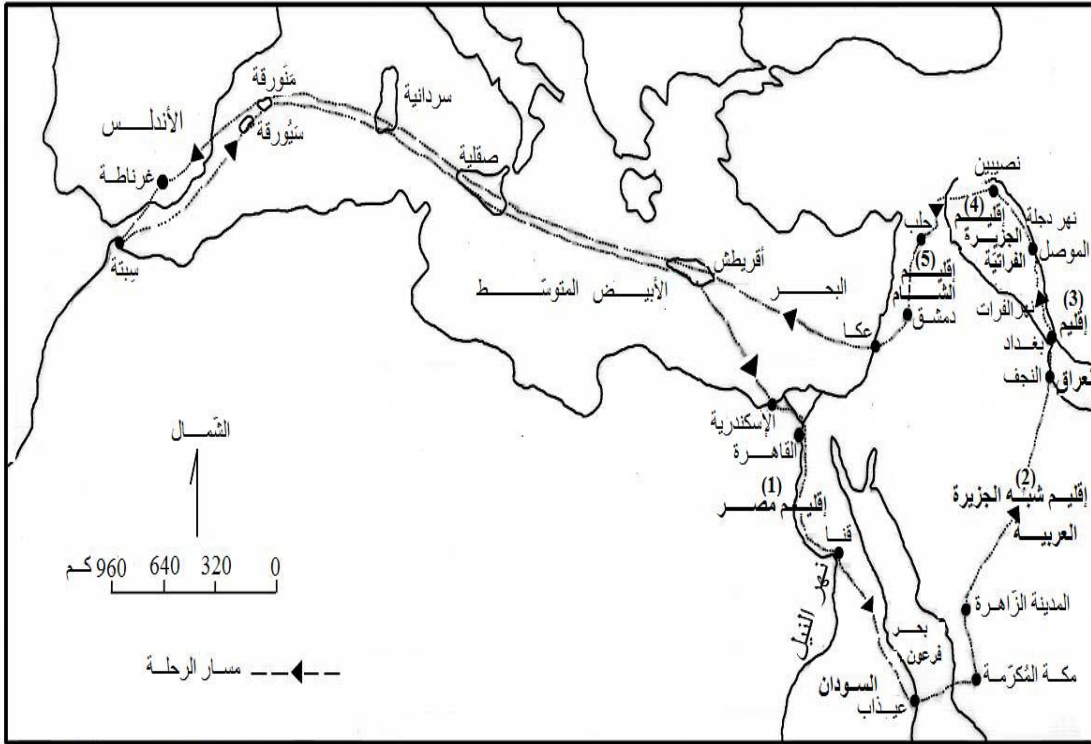
وعليه يمكننا أن نلخص ما جاء في البحث في نقاط من أهمها:

- تظهر رحلة ابن جبير أن العلاقة بين بلاد المغرب والمشرق كانت قائمة على التفاعل العملي المباشر، لا على النظرة المجردة أو الخطاب النظري فالمغاربة، سواء كانوا حجاجًا أو طلاب علم أو مقاتلين، شاركوا في الحياة اليومية للمشرق، وشهدوا تفاصيل أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهو ما يجعل الرحلة مصدرًا واقعيًا لحركة التبادل الحضاري.
- أثبتت المغاربة حضورًا ملموسًا في الجبهة العسكرية المشرقية أثناء الحروب الصليبية، لا سيما في الشام ومصر، إذ شاركوا في الرباط، والقتال، والعمل في الأسطول، والخدمة الطبية والتمويل. وقد سجّل ابن جبير معاناة المغاربة من الإجراءات الصليبية بسبب انخراطهم في الجهاد، وهو ما يُعد دليلاً مباشرًا على فعالية مشاركتهم.
- لم يكن للمغاربة مؤسسات مستقلة في المشرق، لكنهم استقروا ضمن الأطر المؤسسية القائمة كالمساجد، والزوايا، والرباطات، ما يدل على اندماجهم لا انعزالهم، وعلى أن المجتمعات المشرقية كانت منفتحة على استيعاب الوافدين المغاربة.
- في الجانب الاقتصادي، شارك المغاربة في الزراعة والحرف والصناعة ضمن بيئة المشرق، لا سيما في مصر، حيث مارس بعضهم البستنة وحراسة الكروم، أو اشتغلوا في المصانع، بحسب ما رصده ابن جبير. وهذا يكشف أن حضورهم لم يقتصر على التجارة العارضة، بل امتد إلى مساهمة إنتاجية داخل الاقتصاد المحلي.
- تؤكد رحلة ابن جبير أن أسواق المشرق، خاصة في مصر والشام، كانت نشطة ومتعددة الوظائف، وشكّلت محطات حيوية في حركة التجارة المغاربية، إذ كانت الإسكندرية، وعيذاب، ودمشق، من بين المراكز التي استقبلت المغاربة كحجاج وتجار، وساهمت في تسهيل عبورهم وربطهم بالمسالك الكبرى.

- في البعد الديني، شكّلت الرحلة إلى الحج محورًا أساسيًا في تعزيز الروابط بين المغاربة والمشاركة، إذ تجاوزت كونها شعيرة تعبدية، لتتحول إلى فرصة للاختلاط بالعلماء، والاطلاع على أحوال الأمة.
- لم يكن المغاربة مجرد مستقبلين للعلوم والمعارف، بل نقلوا إلى المشرق ما اكتسبوه من تجاربهم، وأسهموا في الخطاب الديني العام، كما فعل ابن جبير نفسه، الذي دعا علنًا لصالح الدين، وامتنح مواقفهم، وشارك في بناء صورة رمزية للمغرب كقوة ناصرة.
- بيّنت الشهادات التاريخية أن المغاربة لم يكونوا كتلة ثقافية واحدة، بل توزعت أدوارهم بين طلبة علم، وصوفية، ومقاتلين، وحرفيين، وتجار، مما يدل على تنوع المشاركة المغربية في المشرق، وتعدد دوافعها وطبقاتها.
- لم يكن الاندماج المغربي في المشرق نتيجة تخطيط مؤسسي من الدولة الموحدية، بل جاء نتيجة فردية وحركية شعبية عفوية، مرتبطة بالحج، وطلب العلم، أو الجهاد، مما يُبرز الطبيعة المرنة والديناميكية لهذا التواصل.
- يكشف حضور المغاربة في المشرق عن انتماء وجداني وروحي للفضاء الإسلامي العام، حيث لم تُشكّل الحدود الجغرافية أو السياسية عائقًا أمام التواصل، بل كانت الأمة الإسلامية - كما رآها ابن جبير - فضاءً مفتوحًا تندمج فيه الشعوب تحت مظلة الدين والتاريخ المشترك.
- من خلال ما خضناه في هذا البحث، تبرز الأهمية البالغة لكتب الرحلات، وعلى رأسها رحلة ابن جبير، بوصفها مصادر حية وواقعية تسهم في فهم عمق التفاعل بين أقاليم العالم الإسلامي. هذه النصوص لا غنى عنها في تحليل الروابط الحضارية والثقافية، إذ توفر معلومات دقيقة عن حركة العلماء، والشبكات الاجتماعية، وأشكال التبادل بين المشرق والمغرب. كما أنها تفتح آفاقًا واسعة لدراسة الأدوار المتنوعة التي اضطلع بها المغاربة في المشرق، وإبراز إسهاماتهم العلمية، الاجتماعية، والعمرانية.

الملاحق

الملحق 1: خريطة توضح مسار رحلة ابن جبير¹



¹ خليف مصطفى غرابية، النسيج العمراني للمدينة العربية الإسلامية من خلال رحلة ابن جبير (578هـ/1182م-581هـ/1185م)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية عجلون الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، م43، ع2، 2016، ص87-88.

الملحق 2: كتاب صلاح الدين إلى المنصور¹

العنوان : بلاغ إلى مَحَلِّ التَّقْوَى الطاهر ، ومستقر حزب الله الظاهر من المغرب أعلى الله به كلمة الإيمان، ورفع به منار البر والإحسان .

بسم الله الرحمن الرحيم، الفقير إلى رحمة ربه يوسف بن أيوب أما بعد : فالحمد لله الماضي المشية ، الممضي القضية، البر بالبرية، الحفي بالحنيفية، الذي استعمل عليها من استعمر به الأرض، وأغنى من أهلها من سألها القرض، وأجزل أجر من أجرى على يده الناقلة والفرض، وران سماء الملة بدراري الدراري التي بعضها من بعض .

وصلى الله على سيدنا محمد الذي أنزل عليه كتاباً فيه الشفاء والثيان، وبنى الإسلام بأمته التي شبيها صاحبها بالبنيان، وعلى آله وصحبه الذين اصطفاهم وطهرهم، ونصروه وظاهروا رسوله ، فنصرهم وأظهرهم، ويسر بهم السبيل، ثم السبيل يسرهم، وإن الله بهم لذو فضل على الناس، ولكن أكثرهم (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) . وهذه التحية الطيبة الكريمة الصَّيِّبَةُ ، الواجبة الرد، الموجبة للقصْد ، العلبة الورد المتنفسة عن العنبر الورد، وقادة على دار الملك، ومدار النسك، وجل الجلالة، وأصل الأصالة، ورأس الرناسة، ونفس النفاسة، وحكم الحكم، وعلم العلم، وقائم الدين وقيمه، ومقدم الإسلام ومقدمه، ومقتضى دين الدين، ومثبت المتقين على اليقين، ومعلي الموحدين على الملحددين، آدم الله له النصره وجهز به العشرة، ورد له الكرة، وبسط له باع القدرة، وأوتق به حبل الألفة، ومهد له درجات الغرفة، وعرفه في كل ما يعتز به صنعاً جزيلاً جميلاً، ولطفاً خفياً جليلاً، ويشر عليه في سبيله كل ما هو أشد وطأ، وأقوم قبلاً

تحية استنير منها الكتاب واستثيب عنها الجواب، وحفر لها حافزان أحدهما شوق قديم كان مثل غريمه ممكناً إلى أن تبشر الأسباب، والآخر مرام عظيم ما كره إذا استفتحت به الأبواب وكان وقت المواصله، وموسم المكاتبة هناء يفتح البيت المقدس، وسكون الإسلام منه إلى المقبل والمعرس، وما فتح الله للإسلام من الثغور، وما شرح لأهله من الصدور، وما أنزله عليهم من الثور، ولم يخل المسلمون فيه من دعوات أسرار ذلك الصدر وملاحظات (أنوار ذلك البدر، ومطالع تلك الجهة التي هي وإن كانت غريبة فإن الغرب مستودع الأنوار، وكثر دينار الشمس ومصب أنهار النهار، ومن جانبه يأتي سكون الليل ومستروح الأسرار، وعنه ويُقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار).

ولم تتأخر المكاتبة إلا لئيم الله ما بدأ من فضله، وليفتح بقية ما لم ينقطع بتقطع يد الشرك من حبله، والمفتتح بيد الله من الشام مدن وأمصار، وبلاد كبار وصغار، ولغور وقلاع، كانت للشرك معاقل، وللإسلام معافر، ولبنى الكفر مصانع، ولبنى الإسلام مصارع، والساقى بيد الكفر منها ثغراً طرابلس وصور، ومدينة أنطاكية - يسر الله أمرها، ولك من يد الكفر أسرها - وإذا أمن المؤمن على هذه الدعوة رجي إيجابها، وما يتأخر من الله سبحانه جوابها فالدعاء أحد السلاحين، ومع النية يطير إلى وكره من السماء بجناحين، بعد أن كبير العدو الكسرة التي لم يخبر بعدها، وألجى إلى حصونه التي للحضر أعدها، وكان يومها كريماً، ولطف الله فيها عظيماً، قضت كل حاجة في النفس، وأغنت المسلمين فأما العدو بعد يومها فكان لم يكن بالأمس، وكانت على أثر غزوات قبلها، فما الفن بالمجهزة بعد النكس ولم يؤخر فتح البلاد بعدها إلا أن فرع الكفار بالشام استصرح بأصل الكفار من العرب، فأجابوهم رجالاً وفرساناً، وشباً وشباناً وزرافات ووحداناً، وترأً وبحراً، ومركباً وظهراً، وركبوا إليهم سهلاً ووخراً، وبللوا ماعوناً وذخراً، وما احتاجوا ملوكاً ترتادهم، ولا أرساناً تفتادهم، بل خرج كل يلبي دعوة بطركه، ولا يحتاج إلى حزمة ملكه .

وخرجت لهم عدة ملوك أقلت العجمة على أسماؤها، وأنت العزمة - بحمد الله - على أشخاصها عند لقائها، ومنهم ملك الألمان خرج في جموع برية، من الله تعالى برية، ملات العجاج وازدحمت فما نقلها العجاج، ومنهم من ركب شيخ البحر فركب الأجاج العجاج ، وامتطى من البحر منه الرجاج، لينصر ديناً مشبه الزجاج يقبل الكسر ولا يسرع إليه الجبر، وراكب ذلك الدين كراكب البحر، بلا ساحل سلامة، وإلى قاع كفر

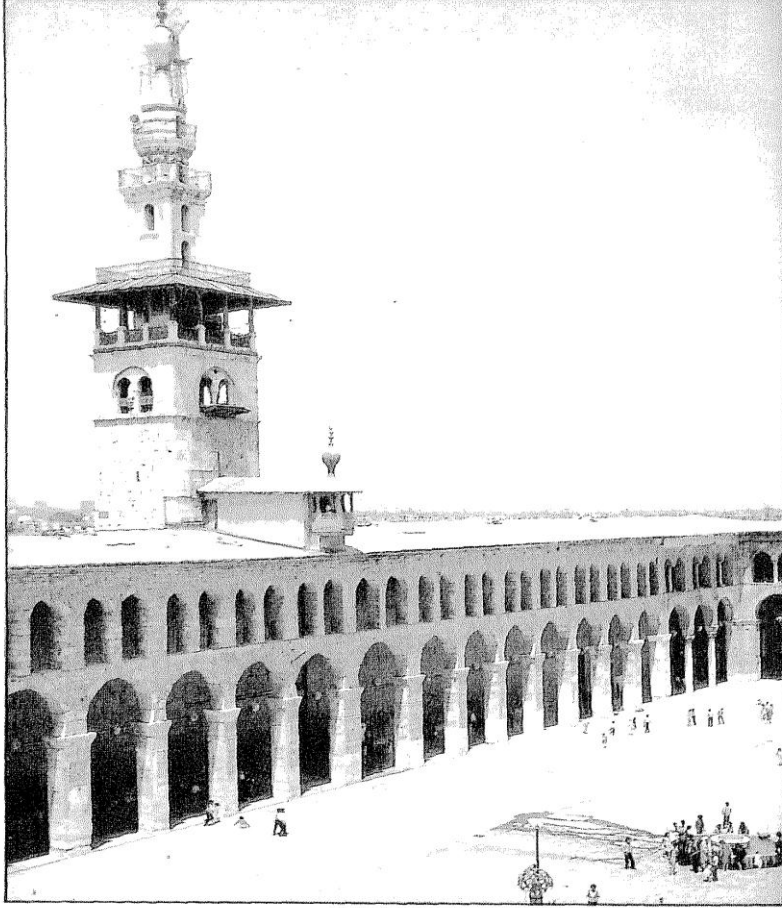
وجلب الكفار إلى المحصورين بالشام كل مجلوب، وملؤوا عليهم ثمرتهم من كل مطلوب ما بين أقوات وأطعمة، وآلات وأسلحة، وشبكة وجنة، وحديد مضروب وزيرة ، ونقدي ذهب وفضة، إلى أن شحنت بلادهم رجالاً مقاتلة، وذخائر للعاجلة من حزبهم والآجلة، لا تشرق شارقة إلا طلعت على العدو من البحر طالعة، تعوض من الرجال من قبل، وتخلف من الزاد ما أكل، فهم كل يوم في حصول زيادة، ووفور مادة، وقد هان عليهم موقع الحضر، وأعطاهم البحر ما منعهم البر، ونظروا لما كثروا، ونظروا في أنهم لا يستطيعون أن يلحقوا أو يضرخوا، ويستطيعون أن يُخسروا على أن ينحصر

ونزلوا على عكا بحيث يمددهم البحر بإمداده، ويصل إلى المقاتل ما يحتاجه من أسلحته وأزواده وبمن تكثر به من مقاتلته وأجناده، فأنقطعت مادة عكا من البحر، وخضرنا منازلهم من العدو من جهة جانب البر، فخذقوا على نفوسهم، وحثوا تراب المصارع على رؤوسهم، وعقدت عدتهم مئة ألف أو يزيدون كلما أفناهم القتل أخلفتهم اللجدة، فكانهم بعد الممات يعودون فاهتمنا بعمارة بحرية لقينا عمارتهم بها، فنقلنا عمارتنا إلى الشعر، وأوصلنا إليه الأقوات التي حمل منها البحر ما لا يحمله الظهر، والأسلحة التي أمضاها الله عز وجل بيد الإسلام في صدور الكفر، وما لقينا عمارة العدو بأوفر منها عدة، فقد مراكبهم كبيره ولكن بأصدق منها عزمة والقليل مع العزم الصادق كثير واستمر مقام العدو محاصراً للشعر، محصوراً منا أشد الخضر لا يستطيع قتال الشعر لأننا من خلفه، ولا يستطيع الخروج إلينا خوفاً من حلقه، ولا يستطيع نحن الدخول إليه؛ لأنه قد سور وخلق وحاجز من وراء الحجرات وأغلق

ولما خرج ملك الألمان بخشده وسمعته التي هي منه أخشدوعاد جيشه الملعون على رسم قديم إلى الشام، فكان العود لامة أحمد أحمد، قويت فيه نفوسهم، وجمعت به رؤوسهم، وظلوا أنه يزعجنا من مجتمنا، ويخرجنا من مخيمنا، فبعثنا إليه من يلقاه بمساكرنا الشمالية، فسلك ذات الشمال متوفراً فيها، محتجزاً عن لقائنا، مظهرأ أنه صريع داء وما به غير دائها. وكان أبوه الطاغية ملك الألمان - شبيهة اللعن اللعين، قائد جيشه إلى سجن سجين - قد هلك في طريقه غرقاً، وخاض الماء فخاضه الماء شرقاً، وبقي له ولد هو الآن المقدم المؤخر، وقائد الجمع المكسر، وربما وصلهم إلى عكا في البحر تهيباً أن يسلك البر، ولو سبق أصحابنا إلى عساكر الألمان قبل دخولها إلى أنطاكية الأخذوه أخذاً سريعاً، وسبق ماء بحر سيوفهم إلى أن يكون الطاغية فيه لا في النهر صريعاً، ولكن الله المشينة في البرية، والطاغية إنما يمشي إلى التالية، فإنه لولا احتجاز مقيمهم بالخنادق، واجتياز واصلهم بالمضائق، لكان لنا ولهم شأن، وكان ليومنا في النصرة الكبرى بحول الله ثان، لا يثنيه من العدو ثان ولما كانت حضرة سلطان الإسلام، وقائد المجاهدين إلى دار السلام أولى من توجه إليه الإسلام بشكواه وینه، واستعان به على حماية نسله وحزنه، وكانت مساعيه ومساعي سلفه في الجهاد العر المحجلة، المؤمرة المؤملة، الكاسفة لكل معضلة، الكاشفة لكل مشكلة الأخبار بذلك مباشرة، والآثار ظاهرة، والصحف عنه باسمه، والسيرولما كانت حضرة سلطان الإسلام، وقائد المجاهدين إلى دار السلام أولى من توجه إليه الإسلام بشكواه وینه، واستعان به على حماية نسله وحريه، وكانت مساعيه ومساعي سلفه في الجهاد العر المحجلة، المؤمرة المؤملة، الكاسفة لكل معضلة، الكاشفة لكل مشكلة . الأخبار بذلك سائرة، والآثار ظاهرة، والصحف عنه باسمه، والسير به معلمة وعالمة، وكلُّ بجهاذه قد سَكَنَ إلا السيوف في أعمادها وقد أمن إلا كلمة الكفر في بلادها. لا يزال في سبيل الله غادياً ورانحاً، ومواجهاً ومكافحاً، ومماسياً ومصابحاً، يجوز لجة البحر بالمجاهدين ملوكاً على الأسرة، وغزاة تصافح وجوها السيوف فلا تحمد نور الأسرة، يلود الفرق الكافرة، ولو ترك سبيلها لملا قراره كل واد وكلمة أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله) ولولاء لأخمدوا شرار كل زناد

كان المتوقع من تلك الدولة العالية، والعزمة العادية، مع القدرة الوافية والهمة المهدية الهادية، أن يُعد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين، فيملاها عليهم جوارى كالأعلام، ومدناً في اللجج سوانر، كأنها الليالي مقلعة بالأيام، تطلع علينا معشر الإسلام أمالاً، وتطلع على الكفار أجالاً، وتردنا إما جملة وإما أرسالاً، مسومة تمدها ملانكة مسومة ومعلمة تقدم حيازيمها إقدام حيزوم، تحت أصحابه الحزمة، وإنما هي منه عزمة، كانت تعين أصحاب الميمنة على أصحاب المشامة وكلمة كانت تنفخ الروح في الكلمة، ولما استبطنت ظن أنها توقفت على الاستدعاء، فصرخنا به في هذه التحية، فقد تحمل السحاب ولا تمطر إلى أن تحركها أبدي الرياح، وقد ينزل الله النصرة فلا تظهر إلى أن تضرع إليها السنة الصفاح. وسير الحضور مجلسه الأظهر، ومحله الأنور، الأمير الأجل. المجاهد الأمين الأصيل، شمس الدين ثقة الإسلام والمسلمين صغير الملوك والسلطين، أبو الحزم عبد الرحمن ابن منقذ كتب الله سلامته وأحسن صحابته، وما اختير للوفادة إلا من هو أهلها، ولا حمل الوديعه إلا من هو محلها، ولا بحث لنهج الصلة إلا من هو مفتاحها، ولأداء الأمانة إلا من هو قفلهاومهما استوضح منه وسئل عنه فإنه على نفسه بصيرة، ومن البيان ذو ذخيرة، وفي العربية ذو بيت وعشيرة، والمشاهدة له أوصف، على أن تلك الجلالة ربما ذعرت البيان فأخلف، وما أجدره بأن يصادف بسطة على بساطه، ونظراً يأذن له في القول على اختصاره، وتوسطه وإفراطه، فكل هو به واي، وكل هو للفهم الكريم كاف، والله تعالى يجعل هذه العزمة منا في استنهاض العزمة منه بالغة مبلغاً يسر أهل دينه، ويوزعهم بها اقتضاء ديونه، من الذين اتخذوا إلها من دونو السلام الصادر عن القلب السليم، والود الصميم، والعهد الكريم، على حضرة الكرم الغلبة، وسدة السيادة الحلية، سلام مودعاً وقَدَّ الغُربَ قَبْلُها، ورسالة ما خَطَرَتْ إلى أن بعثت وراءها المحبة رسلها، وليصل السلام رحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته إن شاء الله تعالى.

الملحق 3: مئذنة المسجد الاموي بدمشق¹



مئذنة العروس (وهي المئذنة الرئيسية) مع الرواق الشمالى

¹ علي الطنطاوي، الجامع الاموي بدمشق، دار المنارة، جدة، ط1، 1990، ص93

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح عبد السلام المبرور، دار الفكر، بيروت، ج2، دط،
2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ج 9، دط، 2012م؛ مج6، ط4، دار الكتب العلمية، 2003.
3. ابن الجوزي(ت654هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ت.ابراهيم الزبيق، الرسالة العالمية، بيروت، ج22ط1، 2013
4. ابن جبير(ت614هـ)، رحلة ابن جبير، دار الصادر، بيروت، د. ت
5. ابن حوقل(367هـ)، صورة الارض، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1928
6. ابن خلدون(ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، لبنان، ج 6، 2000
7. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب-قسم الموحدين-، تح محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، دار الغزب الاسلامي، بيروت، ط1، 1985
8. ابن كثير(774هـ)، البداية والنهاية، تح رياض عبد الحميد ماد، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ج14، طخ، 2015م.
9. ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح جمال الدين الشيال، ددن، دب، ج 1، دط، د ت.
10. أبي شامة(665هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج4، ط1، 1997م؛ تح.إبراهيم شمس الدين، دار الكب العلمية ، بيروت، ط1، 2002
11. الإدريسي، نزهة المشتاق في اخراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مج1، دط، 2002م
12. تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح.محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب، العربية، ج3، ط3دس.
13. الحسن البصري، فضائل مكة والسكن فيها، تح سامي مكي العاني، مكتبة الفلاح، الكويت، دط ، 1980
14. خسرو ناصر(ت438هـ)، سفرنامه، تر يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1993م.
15. الذهبي(ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ج1، دط، 2004م.
16. الزركلي، الأعلام، ج5، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002
17. الضبي، بغية الملمتس في تاريخ رجال أهل الاندلس، تح.ابراهيم اليباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ج1، ط1 ، 1989م.

قائمة المصادر والمراجع

18. الفاسي المكي (ت832هـ)، العقد الثمين في أخبار البلد الأمين، تح فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج7، ط2، 1986م.
 19. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة ج3، 1914 م؛ ج4 تح عبد القادر زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1983م.
 20. لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة بأخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ط1، 2003م.
 21. مجهول، رسائل موحدية، تح أحمد العزاوي، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، ج2، ط1، 2001م.
 22. المقرئ، نفح طيب من غصن الاندلس الرطيب، تح احسان عباس، دار الصادر، بيروت، ج2، 1988م.
 23. المقرئ (ت845هـ)، الخطط المقرئية، تح محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ج1، 1998م.
 24. _____، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1 ط1، 1997م.
 25. ياقوت الحموي (ت626هـ)، معجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر، مج7، ط1، 1906م.
- ثانيا: المراجع**
26. أشباح يوسف، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر محمد عبد الله عنان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ج2، دط، 2014.
 27. الانصاري عبد القدوس، مع ابن جبير في رحلته، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، دب، ط1، 1976.
 28. أنصاري محمد جبار، تفاعل ثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م.
 29. بن عبد الله الدفاع علي، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة التوبة، السعودية، د ط، 1410هـ.
 30. الجيلي جابر، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، دار الجيل، بيروت، مج5، ط1، 2005م.
 31. الحجمة نواف عبد العزيز، رحالة الغرب الاسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن هجري، الأهلية، بيروت، ط1، 2008.
 32. حميدة عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب و مقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط1، دس.
 33. خضير أحمد حسن، علاقات الفاطميين في مصدر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، دس.
 34. زيادة محمد مصطفى، رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة، معهد خليف للأبحاث المغربية، القاهرة، دط، 1939م.

قائمة المصادر والمراجع

35. الشقيري محمد علم الدين ،صورة مصر عند رحالة بلاد المغرب والأندلس من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة ،دار الفرحة ، دب ، ط2005، 2005م.
36. شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994م.
37. الصلابي علي محمد ، تاريخ دولتين المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م.
38. _____، صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، د.ط، دار البيارق للنشر، عمان، 1998م.
39. ضيف شوقي ، الرحلات، دار المعارف، بيروت، ط4، دس.
40. الطنطاوي علي ، الجامع الاموي بدمشق، دار المنارة، جدة، ط1، 1990م.
41. عاشور سعيد عبد الفتاح، الايوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ج م م، 1996م.
42. عبد السرحان خضر ، دمشق من خلال كتب الرحلات في العصرين الايوبي والمملوكي، (السادس والثامن هـ/ الثاني عشر والرابع عشر م)، ددن، دب، دط، دس.
43. عبد الواحد ذنوب طه، الرحلات المتبادلة بين الغرب الاسلامي والمشرق، دار المدار الاسلامي، دب، ط1، 2005م.
44. عبد الواحد ذنون طه ،أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور تواصل الحضاري مع المشرق ، دار حامد، دب، ط1، 2014م.
45. عبده قاسم قاسم ، السيد علي علي ، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، دط، دس.
46. عمر موسى عز الدين ، الموحدين في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الاسلامي، الرياض، دط، 1990م.
47. عواطف بنت يوسف النواب، الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة، دار الأندلس الخضراء، مج1، ط1، 2000م.
48. الكردي علي إبراهيم ، أدب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة لثقافة، دمشق، دط، 2013م.
49. مالدونادو باسيليو بابون ، عمارة المساجد في الاندلس، تر.علي ابراهيم منوفي، ددن، دب، دط، دس.
50. مرعي خلف الله ابتسام، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي 524-936هـ/ 1130-1529م، دار المعارف، الاسكندرية، دط، 1885م.
51. مصطفى زيادة محمد، رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة، معهد خليفني للأبحاث المغربية، القاهرة، دط، 1939م.
52. مصطفى مسعد سامية، المغاربة ودورهم الثقافي في مصر عهد عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دب، ط1، دس.
53. المنجد صلاح الدين، المشرق في نظر المغاربة والاندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1963م.

قائمة المصادر والمراجع

54. المنوني محمد، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب، الرباط، ط 1977، 2.
55. مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، مصر، ط 5، 2000.
56. ناجي حسين داخل البهادلي عبد الجبار، بغداد في كتابات الرحالة العرب والاجانب من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر ميلادي، بيت الحكمة، بغداد، ج 1، ط 2003 م.
- ثالثا: الرسائل الجامعية**
57. بلكاوي عمر، حاجي مجيد، مصر والشام من خلال كتابات الرحالة ابن المغاربة رحلة جبيرة نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، إشراف بخلوة حسين، قسم العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2019-2020م.
58. بن خيرة أحمد، دور المغاربة والأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين 5 و 9 هجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف شريفني أحمد، قسم تاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.
59. حميدي جميلة، سامية بورزوق، الروابط الثقافية بين مدن المغرب الاسلامي والمشرق خلال القرن 6-9هـ/12-15م، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الاسلامي، إشراف حروز عبد الغني، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021-2022.
60. سباق نادية، العلاقات الخارجية للسلطنة الايوبية مع الدول المحاورة عهد صلاح الدين الايوبي 569-589هـ/1174-1193، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي، إشراف كمال بن مارس، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 08 ماي 1945، قلمة، 2021-2022م.
61. عبد الله عمر باقاسي عائشة، بلاد الحجاز في العصر الايوبي 567-648هـ/1171-1250م، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف حسين محمد ربيع، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، 1980م.
62. عجيل حنون علي، ناجي جبار ضياء، الجامع الاموي في دمشق، بحث لنيل شهادة بكالوريوس، إشراف لطيف تايه الطائي، قسم الاسلامي، كلية الآثار، جامعة القادسية، 2018.
63. عطايلية شيماء، دراجة رانيا، الرحلة العلمية للمغاربة إلى المشرق من القرن الأول إلى السادس هجري/ من سابع إلى ثاني عشر ميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي، إشراف خالد مسعود، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 08 ماي 1945، قلمة، 2021م.
64. عيفة الحاج، إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس الى نهاية القرن التاسع هجري 12-15م، مذكرة لنيل دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010م.

قائمة المصادر والمراجع

65. غربي بغداد ، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف محمد بن معمر، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران 1، 2014-2015
66. غربية أيمن ، الصلات الثقافية بين دولة الموحدين والمشرق الاسلامي 541-688هـ/1147-1270م، مذكرة لنيل الماستر في تاريخ الغرب الاسلامي، إشراف علي زيان، قسم العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2022-2023م.
67. مجاهدي زوليخة ، المظاهر الحضارية في أدب الرحلات الاندلسية -ابن جبير نموذجاً-، اطوحة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف بغداد عبد الرحمن، قسم اللغة والادب العربي، كلية الاداب واللغات، جامعة أبي بكر بقايد، تلمسان، 2021-2022
68. محمد السعيد فاطمة زهراء ، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام خلال القرنين 6 و7هـ/12 و13م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، إشراف كمال بن مارس، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 8ماي 1945، قالمة، 2015-2016
69. مرايسة سهى سلسبيل ، غدير مشيك، مدينة بغداد ودورها السياسي والحضاري خلال العصر العباسي الاول (123هـ-750م/232هـ-847م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ المشرق، إشراف عاشور صيد، قسم تاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 08ماي 1945، قالمة. 2022-2023م.
70. مزوزية حداد ، سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية (515-668هـ/1121-1269م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012-2013م
71. مستاوي سهام ، شريفي شيماء ، العلاقات التجارية بين دولة الموحدين والمشرق الاسلامي (541-668هـ/1147-1270م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ الغرب الاسلامي عصر الوسيط، إشراف زيان علي، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021-2022
72. مسعودي وليد ، مسعودي موسى ، التجارة بين الاندلس والمشرق الاسلامي في القرن الخامس والسادس هجري، مذكرة لنيل شهادة ماستر، إشراف رقي الربيع، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة أكلي محمد أولحاج، البويرة، 2021-2022
73. مكاتي توهامي، إسهامات علماء المغرب الاوسط ببلاد المشرق الاسلامي من القرن 07-09/13-15م، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ الوسيط، إشراف الحاج عيفة، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2-أبو القاسم سعد الله، 2020-2021م.

74. منصورية عاشور، المغاربة في البلاد المصرية (ق4-9هـ/10-15هـ)، بحث لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الاسلامي، إشراف علاوة عمارة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة-1-2018-2019م.
75. هدى بريقل، صورة حواضر المشرق من خلال كتابات الرحالة 7-8هـ/13-14م الحجاز-مصر-الشام أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في التاريخ، إشراف خلفات مفتاح، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بضيف، المسيلة، 2017-2018م.
76. الهوبي محمد جمال محمود، أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحي (595هـ-580هـ) (1199م-1184م)، بحث للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف خالد يونس الخالدي، كلية الاداب، الجامعة الاسلامية، غزة، 2017م.
77. وناسة بودرع، شعرية الوصف في أدب الرحلة رحلة ابن جبير أنموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي، إشراف عبد الرحمن مرزوق، قسم اللغة والادب العربي، كلية الاداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحي، 2018-2019م.
78. يوسف أحمد أبو لحية باسمه، الجامع الأموي في دمشق في العصر المملوكي الاول 648-784هـجري 1250-1382 ميلادي، دراسة تاريخية حضارية، إشراف محمد عثمان، كلية دراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2019.

رابعا: المقالات والمجلات

79. أحمد علي، "مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام"، مجلة التراث العربي، دمشق، ع67، ماي 1997م.
80. بالمهدي يوسف، المغاربة بمحاضرة دمشق في العصر الوسيط وأثرهم في الحركة العلمية والاجتماعية ببلاد الشام، مجلة التراث، مج1، ع3
81. بركات محمد السعيد محمد، "صلات علماء الاندلس العلمية ببلاد الحجاز وأثرها في نهضة بلادهم الثقافية في القرنين الخامس والسادس الهجريين (11-12م)"، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الازهر، المنصورة، ع35، 2022م.
82. برمضان طيب، الحضور المالكي لمغاربة في بلاد الحجاز على مستوى التصنيف الفقهي (خلال العصر الوسيط، مجلة النـوازل الفقهيـة والانونيـة، مج07، ع02، 2023م.

قائمة المصادر والمراجع

83. بن خلفان محمد راشد، "العلاقات السياسية والعسكرية بين الدولة الايوبية بمصر والشام (567هـ-648هـ) ودولة الموحدين بالمغرب والاندلس (540هـ-620هـ/1145-1223م)"، *مجلة المؤرخ المصري*، قسم التاريخ والضارة الاسلامية، كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة، ع2022، 65م.
84. بن عودة مضي، بن صغير حضري يمينة، "التجليات الدينية لعمارة بلاد المغرب الاسلامي"، *مجلة العبر لدراسات التاريخية والاثريّة في شمال افريقيا*، جامعة غرداية، مج5، ع3، 06-2022م.
85. بنت عبد الرحمن سهلي هبله، "دراسة تاريخية تحليلية عن دور العرب في مواجهة الغزو الصليبي لبلاد الشام ومصر خلال حروب صليبية"، *عصور*، ع32-33، جانفي، مارس 2017م.
86. بوادعة نجادي، "إسهامات علماء المغرب في بلاد المشرق على عهد الموحدين 541-668هـ/1146-1269م"، *مجلة عصور الجديدة*، مج10، ع1، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سعيدة، مارس 2020م.
87. بوعبدلي المسعود عبد الوهاب، "أهم المدارس النظامية في العصر السلجوقي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي"، *مجلة العلوم الانسانية والحضارة*، مج4، ع2، جامعة الجزائر2، 2022م.
88. الحبازي مشهور، التعددية الثقافية في أدب الرحلات رحلة ابن جبير نموذجاً، المجمع أبحاث في اللغة العربية والادب والفكر، ع14، 31-12-2019م.
89. حطيط أحمد، "مكانة المغاربة الاجتماعية بدمشق في زمن الحروب الصليبية"، *مجلة تاريخ العربي*، ع25، المغرب، 2001م.
90. الرقب شفيق محمد، المحروقي سيف محمد، "الحس الديني في رحلة ابن جبير"، *مجلة كلية التربية*، جامعة عين شمس، ع25، ج3، 2019م.
91. الزبون نضال محمد، "زيارة العلماء لمدينة بغداد من خلال كتاب ذيل تاريخ مدينة السلام لابن الدبيشي ت 637هـ - 1239م دراسة في دوافع ونتائج"، *مجلة مؤرخ المصري*، ع62، جانفي 2023.
92. سيد أبو المجد محمود، عبد الرحيم ابراهيم جمال، محمد التهامي عائشة، تأثيرات المغربية الاندلسية على العمارة الإسلامية في مصر، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، كلية السياحة والفندق، جامعة الفيوم، مج15، ع2، 2021م.
93. شبلاوي مصطفى، زرقوق محمد، "أثر الفكر العمراني المشرقي في العمارة الاندلسية خلال القرنين (2-5هـ/8-11م)"، *مجلة البحوث والدراسات العلمية*، مج19، ع1، 2025م.
94. شنينة حسين، بن عزوزي محمد، "المؤدبون المغاربة في بلاد الحجاز خلال العصر الوسيط"، *مجلة النوازل الفقهية*، مج7، ع2، مركز البحوث في العلوم الاسلامية والحضارة، الأغواط، 2023م.

قائمة المصادر والمراجع

95. شيلوي مصطفى، زرقوق محمد، "أثر الفكر العمراني المشرقي في العمارة الاندلسية خلال القرنين (5-2هـ/801م)"، مجلة البحوث والدراسات العلمية، ع1، 2025م.
96. عماد عبد المنعم إيناس، "الموانئ التجارية المطلة على ساحل البحر الاحمر في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة من القرن الاول حتى القرن الثامن الهجريين (الموانئ التجارية الحجازية واليمينية والمصرية انموذجا)"، مجلة الجامعة العراقية، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، ع54، ج1.
97. عناني إسماعيل كمال، "أصداء جامع قرطبة على عمارة مصر الاسلامية"، دراسات في آثار الوطن العربي، قسم التاريخ والاثار المصرية والاسلامية، كلية الاداب، جامعة الاسكندرية.
98. عيساوة محمد، "دور العسكري للمغاربة في الحروب الصليبية بالشرق اسلامي من بداية الفاطميين إلى نهاية المماليك 362-922هـ/973-1517م"، دراسات تاريخية، ع6.
99. غرايبة خليف مصطفى، "النسيج العمراني للمدينة العربية الاسلامية من خلال رحلة ابن جبير (578هـ/1182م-581هـ/1185م)"، مجلة دراسات، العلوم الانسانية والاجتماعية، كلية عجلون الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الاردن، م43، ع2، 2016.
100. غربي رضون، دخية فاطمة، "الابعاد الدينية والاجتماعية في رحلة ابن جبير أندلسي"، مجلة القراءات، جامعة بسكرة، الجزائر، مج13، ع1، 2021م.
101. قرني عبد الحميد ناهد، "مشيخة المغاربة في مصر والشام خلال عصري الايوبيين والمماليك 589-923هـ/1193-1517م"، مجلة كلية دار العلوم، ع53، جانفي 2025م.
102. قلاش إسماعيل، "الاقتصاد في عهد صلاح الدين الايوبي"، مجلة أكاديمية العلوم الاجتماعية، مج4، ع2، 2021-11م.
103. لعمارة نور الهدى، الوقف الاسلامي في بلاد الحجاز والشام ودوره في استقطاب المتصوفة المغرب خلال القرنين (6-7هـ/12-13م)، عصور، مج23، ع1، جامعة الأغواط، الجزائر، جوان 2024م.
104. المطيري ركان ذكار، "حركات المعارضة في عهد المنصور الموحدي (يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) (580-895هـ/1184-1199م)"، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.
105. ناهد قرني عبد الحميد، "مشيخة المغاربة في مصر وبلاد الشام خلال عصري الأيوبيين والمماليك (589هـ-923هـ/1193م-1517م)"، مجلة كلية دار العلوم، ع53، جانفي 2025م، ص758.
106. نوري شكر هدى، أثر الحضارة العراقية على الحضارة الاندلسية الاسلامية، مجلة الطريق لدراسات التربية والاجتماعية، مج7، ع7، جوان 2020م.

قائمة المصادر والمراجع

107. هيمون محمد ، "مراكش حاضرة علمية"، حوليات التاريخ والجغرافيا، مج9، ع2، 2020م.

الفهارس

فهرس الاعلام

الأعلام	الصفحة
إبراهيم	51-48
إبراهيم بن يحيى	28
إبراهيم بن يوسف الغربي	56
ابن القطان	17
ابن الواعظ	7
ابن بطوطة	50-35
ابن جبير	-16-15-13-12-11-10-9-8-7-6 -26-25-24-23-22-21-20-18-17 -35-34-33-32-31-30-29-28-27 -44-43-42-41-40-39-38-37-36 -54-52-51-50-49-48-47-46-45 65-64-63-62-61-59-58-57
ابن حمدين	9
ابن خلدون	15
ابن سعيد	30
ابن عبد الملك	8
ابن عربي المعافري	9
ابن يسعون	7
أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم التونسي	7
أبو أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي	7
أبي الحسن بن أبي العيش	7
أبو اسحاق بن مهيب	7
أبو الحسن بن جميل	23
أبو الحسن بن علي الشاذي أو الشاري	7
أبو الحسن بن نصر بن فاتح بن عبد الله البجائي	7
أبو الحسن علي المغربي المالقي	46
أبو الحسن علي بن محمد المعافري الأندلسي	46
عبد الله بن المظفر	22
أبو الحكم بن برجان	21
أبو القاسم الجنيد	50
أبو القاسم عبد الرحيم بن ملجوم	55
أبو الجحد محمد بن عبد الله الباهلي	22
أبو الوليد بن الدباغ	7
أبو بكر يحيى بن محمد بن أبي الغصن	8

7	أبو تمام بن اسماعيل
45	أبو جعفر أحمد بن علي الفنكي
7	أبو جعفر أحمد بن علي القرطبي
46	أبو جعفر الفنكي
8	أبو سليمان بن حوط الله
55	أبو عبد الله النميري
8	أبو عبد الله بن حسن بن مجير
55	أبو عبد الله بن حميد
55	أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن إبراهيم خزرجي توقي
45	أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله المكناسي
7	أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى التميمي السبتي
7	أبو محمد بن عساكر
56	أبو محمد جامع بن عبد الله الاندلسي
7	أبو محمد عبد اللطيف الخجندى
9	أبو محمد عبد الله الناصر
55	أبو محمد عبد الله بن محمد الصنهاجي الاشيري
55	أبو محمد عبيد الله
27	أبو موسى الدكالي
19	أبي الحارث عبد الرحمان بن منقذ
52	أبي الحسن بن البناء
51	أبي الدرداء
7	أبي الطاهر الخشوعي
18	أبي الوليد القرطبي
48	أبي بكر الصديق
8	أبي تمام
7	أبي حفص الميانشي
7	أبي عبد الله الأصيلي
47	أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي
56	أبي محمد عبد الواحد بن أبي الحسين عبد القادر البغدادي
9	أحمد بن قسي
54-34-30-29	الإدريسي
11	العاضد
48	أشهب
48	أصبغ بن الفرج
50	أم الإمام علي بن أبي طالب ﷺ
51	أم الدرداء

51	أم مرتيم ﷺ
50	الإمام أبي حنيفة
50	الإمام أحمد بن حنبل ﷺ
55	إمام حامد الغزالي
50	الإمام موسى بن جعفر
9	بزار بن محمد المسوقي
50	بشر الحافي
40	بن عبظ الوهاب الإسكندري
56	التجيبى
47-42-23	تقي الدين المقرئى
48	جبريل ﷺ
59	جلال الدين أبو محمد عمر الخجندى
55	أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي
48	الحسن
48	الحسين
29	الحميرى
51	خالد بن الوليد
60	خاتون بنت جاولي
43	المستضيء
50	داوود الطائي
50	سري السقطي
51	سهل بن النظامية
60	سيف الدين بن شادي
56	زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطي الزاوي المغربي
10	شاوور
11-10	شيركوه
48	خديجة
47	زينب بنت علي
-37-23-22-21-20-19-18-11-10 58-56-46-45-43-40-39-38	صلاح الدين الأيوبي
10	ضرغام
48	عبد الرحمن بن القاسم
21	عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرحال محمد اللخمي
57-38	عبد الصمد الدكالي
56	عبد الله بن محمد ابن سكاك المالكي
64-63-62-61-19-18-17-14-9-8	عبد المؤمن بن علي

الفهارس

59	عبد الوهاب الشيرازي الحنبلي
50-42-14	العبدري
51	عبيد الله بن عمر
63	عقبة بن نافع
46-23	علي بن محمد بن جميل المعافري
8	علي بن يوسف بن تاشفين
11	عمارة اليمني
49	عمر بن الخطاب رضي الله عنه
9	عمر بن صالح الصنهاجي
10	غموري الاول
48	فاطمة الزهراء
50	فاطمة بنت أسد
51	فضالة بن عبيد
15	القاسم بن فيرة الشاطبي
19	القاضي الفاضل
48	القاضي عبد الوهاب
30	القلقشندي
10	طلايع بن زريك
43	طاكشتين
11	كمشتين
51-50-49-48-45-44	محمد صلى الله عليه وسلم
46	محمد بن محرز بن محمد
21	محي الدين بن عربي
51	معاوية بن أبي سفيان
43	مكثر
62-61-51-28-19-17	المهدي
51	موسى عليه السلام
9	موسى بن سعيد
34-30	ناصر خسرو
58-39-36-22-15-10	نور الدين محمود بن زنكي
50	الهروي
23-15	اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي الجبائي
63-9	يعقوب يوسف
22	يوسف بن دوناس الفاسي
18-9	أبو يوسف يعقوب المنصور

فهرس الأماكن والبلدان:

المكان	الصفحة
إخميم	28
أرمينيا	27
الاسكندرية	67-66-65-59-52-48-29-27-26-23-20-15-14-13-12-10
أسيوط	28-26
إشبيلية	64-9
ألمرية	56-9
الأندلس	-57-46-42-36-30-29-28-21-20-19-17-14-13-11-9-8-6 67-66-64-62-60
أيلة	42
بزاغة	35-27
بطلبيوس	9
بغداد	66-65-59-58-57-52-33-29-27-26-12
بلنسية	9-6
بيت المقدس	53-47-23-21-11-9
بيروت	11
تكريت	12
تنيس	31
الجزيرة الخضراء	9-8
الحجاز	58-55-54-50-42-40-32-26-18-15-12-8
حلب	57-53-35-31-29-27-12-11-10
الحلة	26
حماة	27-13-11
حمص	53-35-12
دمشق	-59-54-53-47-39-38-37-36-35-30-27-23-22-12-11-10-7 66-63-62-61
دمياط	31-30-28-10
دنيصر	34-33-27
رأس العين	27
سامراء	13
سبته	34-12
سخا	31
شاطبة	6
الشام	-47-43-42-39-36-35-34-32-31-30-29-27-23-22-21-10-8

66-62-56-53	
6	شذونة
20-9	شلب
29-19-13	صقلية
27	الصين
26	الطائف
11	طبرية
31	طنطا
50-47-43-42-33-32-28-27-26	العراق
35-34-23-19-13-11	عكا
62-13-12-9-7-6	غرناطة
47-30-28-27-10	القسطاط
51-50-10	فلسطين
31-28	القيوم
9-8	قادس
65-63-62-53-48-47-45-42-30-26-18-15-13-10	القاهرة
13	قرطاجنة
-64-63-62-58-9	قرطبة
9	قرمونة
31-13	قوص
65-64	القيروان
13	الكوفة
54-52-50-49-46-45-37-32-13	المدينة المنورة
65-64-63-21-20	مراكش
9	مرسية
-29-28-27-26-24-23-22-19-18-17-15-14-13-12-11-10-8 63-55-54-53-47-46-42-39-37-35-34-32-31-30	مصر
-38-37-36-32-31-30-27-26-23-22-21-20-19-18-17-14-8 -65-64-63-62-61-60-59-55-54-52-47-46-45-44-42-40 66	المغرب
21	المغرب الاقصى
-56-55-54-51-50-45-44-43-42-40-39-33-32-26-12-11-7 58	مكة المكرمة
31-26	منفلوط
31	منوف
58-50-43-34-33-13-11	الموصل

الفهارس

نصيبين	34-27
نينوى	36
الهند	33-32-31-28-27
يافا	11
اليمن	44-42-32-31-18

فهرس المحتويات :

العنوان	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
مدخل	
المبحث الأول : ابن جبير ورحلته	12-6
أولاً: التعريف بابن جبير	6
1. نسبه ومولده	6
2. أخلاقه وصفاته	6
3. حياته العلمية	8-7
1.3. دراسته	7
2.3. تلاميذه	8-7
3.3. مؤلفاته	8
4. عصر ابن جبير	11-8
1.4. الوضع السياسي بلاد المغرب	10-8
2.4. الوضع السياسي للمشرق	11-10
5. وفاته	12
ثانياً: مسار الرحلة	13-12
1. أسباب الرحلة	12
2. مسار الرحلة	13-12
المبحث الثاني: أسباب وفود المغاربة على مشرق	15-13
أولاً: الاسباب السياسية	14-13
ثانياً: الاسباب الاقتصادية	14
ثالثاً: الاسباب العلمية والدينية	15
الفصل الأول : صور التواصل السياسي والعسكري	
المبحث الاول: الجانب السياسي	20-17
المبحث الثاني: الجانب العسكري	24-21
أولاً: الوعي الجهادي المغاربي تجاه المشرق خلال الحروب الصليبية	21
ثانياً: إسهامات المغاربة في الجهاد ضد الصليبيين	23-22
ثالثاً: بروز المغاربة في المعارك خلال حروب الصليبية	24-23
الفصل الثاني: صور التواصل الاقتصادي والاجتماعي	
المبحث الاول: الجانب الاقتصادي	35-26
أولاً: الزراعة	27-26

29-27	ثانيا: الصناعة
30-29	ثالثا: التجارة
40-36	المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي
37-36	أولا: مظاهر التواصل الاجتماعي بين المغاربة والمشاركة
40-38	ثانيا: دور المرافق الاجتماعية في تعزيز التواصل
الفصل الثالث : صور التواصل الحضاري	
51-42	المبحث الاول: الجانب الديني
42	أولا: الرحلة الحجازية
42	1. طريق الحج
44-42	2. التحديات والصعوبات التي واجهت الحجاج
45-44	3. مناسك الحج
46-45	ثانيا: المذهب المالكي
51-47	ثالثا: المشاهد والاماكن المقدسة
60-52	المبحث الثاني: الجانب العلمي
55-52	أولا: الخواضر العلمية
58-55	ثانيا: المؤسسات التعليمية
66-61	المبحث الثالث: الجانب العمراني
65-61	أولا: العمارة الدينية
66-65	ثاني: العمارة المدنية
69-68	خاتمة
74-71	الملاحق
84-76	قائمة المصادر والمراجع
94-86	الفهارس
95	الملخص

الملخص:

تناولنا في هذا البحث صور التواصل بين الغرب الاسلامي والمشرق من خلال رحلة ابن جبير ، ولقد حاولنا تسليط الضوء على أهم جوانب هذا التواصل، فاعتمدنا استقراء رحلة ابن جبير واستخراج المادة العلمية منها المتعلقة بالعلاقات بين المنطقتين، فعرضنا علاقات السياسية للموحدين بالأيوبيين ،بالإضافة إلى تفاعل المغاربة العسكري مع الحروب الصليبية. كما تتبع البحث الروابط الاقتصادية من خلال النشاط الزراعي والصناعي والتجاري. وسعى إلى إبراز مظاهر التفاعل الاجتماعي والحضاري من خلال كرم الضيافة، دور المرافق، وأهمية الرحلة الحجازية وحضور المذهب المالكي والمشاهد المقدسة والمراكز العلمية. قدم البحث إلى رؤية شاملة لتفاعلات بين بلدان الغرب الاسلامي والمشرق في تلك الفترة التاريخية، بالإضافة إلى ذلك، عرفنا بجهود المغاربة والمشاركة في التفاعل والتأثير المتبادل في مختلف المجالات.

كلمات مفتاحية: تواصل، تفاعل، المشرق الاسلامي، الغرب الاسلامي، ابن جبير.

Abstract:

This research explores the facets of communication between Islamic West and the Mashriq through the journey of Ibn Jubayr. We have endeavored to shed light on the most significant aspects of this interaction, relying on the extrapolation of Ibn Jubayr's travels and the extraction of scholarly material pertaining to the relations between the two regions. Consequently, we presented the political relations of the Almohads with the Ayyubids, in addition to the Maghrebi military involvement in the Crusades. The research also traced the economic links through agricultural, industrial, and commercial activities. Furthermore, it sought to highlight the manifestations of social and cultural interaction through hospitality, the role of social facilities, the importance of the Hajj pilgrimage, the presence of the Maliki school of thought, holy sites, and intellectual centers. This study provides a comprehensive vision of the interactions between the Islamic West and the Mashriq during that historical period. Moreover, we identified the efforts of the Maghrebis and Mashriqis in mutual interaction and influence across various fields.

Keywords: Communication, Interaction, Islamic Mashriq, the Islamic West, Ibn Jubayr.